سورة الروم

مكية وآياتها ستون

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ
سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ
يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾
وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ
ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾

اللغة :

(الروم) : سيأتي ما يقوله التاريخ عنهم في باب الفوائد .

(بضع سنين) : تقدم معنى البضع في سورة يوسف واختلاف العلماء في عدده ، واختار الأصمعي أنه من الثلاث الى العشر .

الاعراب :

(ألم غلبت الروم) ألم تقدم القول في إعرابها ، وغلبت فعل ماض مبني للمجهول والروم نائب فاعل . (في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون) في أدنى متعلقان بغلبت والواو عاطفة وهم مبتدأ ومن بعد غلبهم الجار والمجرور متعلقان بقوله سيغلبون وغلبهم مصدر الفعل المبني للمجهول وقد أضيف الى مفعوله وجملة سيغلبون خبر المبتدأ . (في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد) في بضع سنين متعلقان بقوله سيغلبون أيضاً وسيأتي سر إبهام عدد السنين في باب البلاغة ولله خبر مقدم والأمر مبتدأ مؤخر والجملة مستأنفة كأنه جواب لسؤال مقدر وهو أي فائدة في ذكر قوله من بعد غلبهم لأن قوله سيغلبون لا يكون إلا بعد الغلبة ؟ فأجيب بأن فائدته اظهار تمام القدرة وبيان أن ذلك بأمر الله تعالى وحده ومن قبل متعلقان بمحذوف حال ومن حرف جر وقبل وبعد ظرفان بنيا على الضم لقطعهما عن الاضافة لفظاً لا معنى ثم جرّا بمن وبقيا على ضمهما أي من قبل غلب الروم ومن بعده (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) الواو عاطفة ويومئذ ظرف أضيف الى مثله وهو متعلق بيفرح والتنوين عوض عن جملة كما تقدم أي يوم تغلب الروم وبنصر الله متعلقان بيفرح أيضاً وجملة ينصر من يشاء مستأنفة لاظهار صدق المؤمنين ومن اسم موصول مفعول لينصر وجملة يشاء صلة وهو مبتدأ والعزيز خبر أول والرحيم خبر ثان .

(وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وعد الله مصدر مؤكد لمضمون الجملة التي تقدمت وهي قوله سيغلبون ويفرح المؤمنون وجملة لا يخلف الله وعده إما مفسرة مقررة

لمعنى المصدر فلا محل لها وإما حالية من المصدر والواو حالية ولكن واسمها وجملة لا يعملون خبرها • (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) جملة يعلمون قيل هي مستأنفة وهو قول سليم لا إعتراض عليه وقال الزمخشري : « بدل من قوله يعلمون وفي هذا الابدال من النكتة أنه أبدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويسدّ مسدّه ليعلمك أنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود الجهل الذي لا يتجاوز الدنيا ، وقوله ظاهراً من الحياة الدنيا يفيد أن للدنيا ظاهراً وباطناً فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها وباطنها وحقيقتها أنها مجاز الى الآخرة يتزود منها اليها بالطاعة والأعمال الصالحة » وقول الزمخشري أقعد بالفصاحة وأملى بالبلاغة ولكن ابدال المثبت من المنفي لا يصح كما تنص عليه قواعد النحو • وهم مبتدأ وعن الآخرة متعلقان بغافلون وهم تأكيد لهم الأولى وغافلون خبر هم الأولى ويجوز أن تكون هم الثانية مبتدأ ثانياً خبره غافلون والجملة خبر هم الأولى •

البلاغة :

١ ــ الابهام :

في قوله « في بضع سنين » إبهام وفائدة التفخيم وادخال الرهبة في قلوب المشركين في كل وقت والاشعار بأن زهوهم بأنفسهم واعتدادهم بقوتهم ليس إلا حين يطول أو يقصر ولكنه آيل الى الانتهاء ومفض الى العاقبة الحتمية وهي الارتداد والانتكاس ، وقد تقدم ذكر الابهام كثيراً •

٢ ــ التنكير :

وذلك في قولــــه « يعلمــون ظاهراً من الحيـــاة الــدنيا » وفائدته تقليــل معلومهــم ، وتقليــله يقربه من النفي حتى يطــابق المبدل منه وهو قوله « لا يعلمون » وهذا ما يرجح البدلية ولله در الزمخشري ما أبعد غوره ، وأصقــل ذهنه ، وعن الحسن أنه قــال في تلاوته هذه الآية : بلغ من صدق أحدهم في ظاهر الحياة الدنيا أنه ينقر الدينار بإصبعه فيعلم أجيد هو أم رديء وفي هذا تعليل للعلم الذي بلغ أبعد آماده فغاص في الدأماء ، وحلق في أجواز الفضاء ، وفطن الى أبعد السرائر ، ومكنون الضمائر ، ولكنه حين يعرض لما استسر من أسرار الكون كالمبدأ والمعاد والمنتهى وقف ضئيلاً لا يبدىء ولا يعيد .

٣ ــ التعطف :

في قولــه : « وهم عن الآخرة هــم غافلون » فن التعطف وهو إعادة اللفظة بعينهــا في الجملة من الكلام أو البيت من الشعر فقد ردد « هم » للمبالغة في تأكيد غفلتهم عن الآخرة .

الفوائــد :

ما يقوله التاريخ :

(الروم) اسم أطلقه العرب على البيزنطيين ويطلق اليوم عــلى المسيحيين الشرقيين الملكيين من كاثوليك وأرثوذكس ، والامبراطورية الرومانية الشرقية عرفت بالبيزنطية نسبة الى بيزنطية اسم القسطنطينية

القديم سمى العرب سكانها الروم ، وأول أباطرة البيزنطيين قسم أبوه ثيودوسيوس الامبراطورية الى غربية وعاصمتها روما والى شرقية وعاصمتها القسطنطينية . وسبب نزول الآية أنه كان بين فارس والروم قتال ، فاحتربت الروم وفارس بين أذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم فبلغ الخبر مكة فشق على النبي والمسلمين لأن فارس مجوس لا كتاب لهم والروم أهل الكتاب وفرح المشركون وشمتوا وقالوا للمسلمين انكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وفارس أميون وقد ظهر اخواننا من أهل فارس على إخوانكم من الروم ولنظهرن عليكم فنزلت فقال لهم أبو بكر : لا يقرر الله أعينكم فوالله لتظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له أبيّ بن خلف : كذبت ، فقال له الصديق : أنت أكذب يا عدو الله ، فقال : اجعل بيننا أجلاً أناحبك عليه ، والمناحبة بالحاء المهملة المراهنة فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الأجل ثلاث سنين فأخبر أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما هكذا ذكرت إنما البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر ومادّه في الأجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين فلما خشي أبيّ بن خلف أن يخرج أبو بكر أتاه ولزمه وقال : إني أخاف أن تخرج من مكة فأقم لي كفيلاً فكفله له ابنه عبد الله بن أبي بكر فلما أراد أبيّ أن يخرج الى أحد أتاه عبد الله فلزمه وقال : لا والله لا أدعك حتى تعطيني كفيلاً فأعطاه كفيلاً ثم خرج الى أحد ثم رجع الى مكة ومات بها من جراحته التي جرحه إياها النبي حين بارزه وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك على رأس سبع سنين من مناحبتهم فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبيّ وجاء به الى رسول الله فقال له تصدق به

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ
لَكَافِرُونَ (٨) أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ
مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا
عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا
أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٩) ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا
بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ (١٠)

الاعراب :

(أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى) الهمزة للاستفهام الانكاري والواو عاطفة على مقدر يقتضيه السياق ولم حرف نفي وقلب وجزم ويتفكروا فعل مضارع مجزوم بلم والواو فاعل وفي أنفسهم متعلقان بيتفكروا وما نافية وخلق الله السموات فعل وفاعل ومفعول به والجملة مستأنفة لا تعلق لها بما قبلها وقيل هي في محل نصب معلقة للتفكر فتكون في محل نصب على اسقاط الخافض وإلا أداة حصر وبالحق حال أي مصحوبة بالحق قال الزمخشري : « والباء في قوله إلا بالحق مثلها في قولك دخلت عليه بثياب السفر واشترى الفرس بسرجه ولجامه تريد

اشتراه وهو ملتبس بالسرج واللجام غير منفك عنهما وكـذلك المعنى ما خلقها إلا وهي ملتبسة بالحق مقترنة به » وأجل عطف على الحق ومسمى نعت لأجل • (وإن كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون) الواو حالية وإن واسمها ومن الناس صفة لكثيراً وبلقاء ربهم متعلقان بكافرون واللام المزحلقة وكافرون خبر إن • (أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) الهمزة للاستفهام الانكاري التوبيخي والواو عاطفة على مقدر يقتضيه السياق أي أقعدوا في أماكنهم ولم يسيروا ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ويسيروا فعل مضارع مجزوم بلم والواو فاعل وفي الارض متعلقان بيسيروا فينظروا الفاء عاطفة على يسيروا ولك أن تجعل الفاء سببية ويسيروا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد الفاء وكيف اسم استفهام في محل نصب خبر مقدم لكان وعاقبة اسمها والذين مضاف اليه ومن قبلهم صلة الذين • (كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض وعمروها أكثر مما عمروها) جملة كانوا إما تفسيرية لا محل لها ولك أن تجعلها تابعة على البدلية ، وكان واسمها وأشد خبرها ومنهم متعلقان بأشد وقوة تمييز وأثاروا الأرض عطف على كانوا وعمروها عطف أيضاً وهو فعل وفاعل ومفعول به وأكثر نعت لمصدر محذوف أي عمارة أكثر من عمارتهم ومما متعلقان بأكثر وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر مجرور بمن

(وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) وجاءتهم رسلهم فعل ومفعول بهم وفاعل وبالبينات متعلقان بجاءتهم والفاء عاطفة وما نافية وكان واسمها واللام لام الجحود ويظلمهم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام الجحود

والجار والمجرور متعلقان بالخبر المحذوف وقد تقدم تقريره ولكن الواو حالية ولكن حرف استدراك مهمل وكانوا فعل ماض ناقص والواو اسمها وأنفسهم مفعول مقدم ليظلمون وجملة يظلمون خبر كانوا . (ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوءى) ثم الفاء عاطفة للتراخي والشروع في بيان هلاكهم في الآخرة بعد هلاكهم في الدنيا وكان فعل ماض ناقص وعاقبة خبر كان المقدم والذين مضاف اليه وجملة أساءوا صلة والسوءى نعت لمصدر أساءوا .

(أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون) أن وما في حيزها اسم كان المؤخر ولك أن تجعل السوءى هي الاسم وأن وما في حيزها نصب باسقاط الخافض أو هي بدل من السوءى وفيما يلي نص اعراب أبي البقاء وهو أوضح الأعاريب : « قوله تعالى : ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوءى يقرأ بالرفع والنصب فمن رفع جعله اسم كان وفي الخبر وجهان أحدهما السوءى وأن كذبوا في موضع نصب مفعولاً له أي لأن كذبوا أو بأن كذبوا أو في موضع جر بتقدير الجار على قول الخليل والثاني أن كذبوا أي كان آخر أمرهم التكذيب والسوءى على هذا صفة مصدر ، ومن نصب جعلها خبر كان وفي الاسم وجهان أحدهما السوءى والآخر أن كذبوا على ما تقدم ويجوز أن نجعل أن كذبوا بدلاً من السوءى أو خبر مبتدأ محذوف والسوءى فعلى من الأسوأ وهي صفة لمصدر محذوف والتقدير أساء الإساءة السوءى . وان جعلتها اسماً أوخبراً كان التقدير الفعلة السوءى أوالعقوبة السوءى» . وكانوا كان واسمها وبها متعلقان بيستهزئون وجملة يستهزئون خبر كانوا .

ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ
يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟
بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾

اللغــة :

(يبلس) : أبلس فلان فهو مبلس إذا سكت عن يأس ويقال : أبلس الرجل انقطعت حجته فسكت فهو لازم لا يتعدى، وفي الكشاف: « الإبلاس أن يبقى ساكناً يائساً متحيراً يقال ناظرته فأبلس إذا لم ينبس ويئس من أن يحتج ومنه الناقة المبلاس التي لا ترغو » وفي القاموس : « وأبلس يئس وتحير ومنه إبليس أو هو أعجمي » فقول صاحب المنجد انه يقال « أبلسه » غلط فظيع وقد علل علماء التصريف قراءة يبلس بالبناء للمفعول بأن القائم مقام الفاعل مصدر الفعل ثم حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه إذ الأصل يبلس إبلاس المجرمين .

(روضة) : الروضة : كل أرض ذات نبات وماء ورونق ونضارة وفي أمثالهم : أحسن من بيضة في روضة ، يريدون بيضة النعامة . وفي الأساس واللسان : « بأرضه روضة وروضات ورياض وروّض الغيثُ الأرضَ وأراض المكانُ واستراض أي كثرت رياضه ومن المجاز : أنا عندك في روضة وغدير ، ومجلسك روضة من رياض الجنة » .

(يحبرون) : يسرون يقال حبره إذا سره سروراً تهلّل له وجهه فيه أثره ، وفي الاساس : « وحبره الله سره « فهم في روضة يحبرون » وهو محبور : مسرور » قال ابن الرومي يصف العنب :

ثم جلسنا مجلس المحبور   على حفافي جدول مسجور

وفي الكشاف : « ثم اختلفت فيه الاقاويل لاحتماله وجوه جميع المسار ، فعن مجاهد رضي الله عنه : يكرمون ، وعن قتادة : ينعمون ، وعن ابن كيسان : يحلون ، وعن أبي بكر بن عياش : التيجان على رؤوسهم ، وعن وكيع: السماع في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفي آخر القوم أعرابي فقال : يا رسول الله هل في الجنة سماع ؟ قال : نعم يا أعرابي إن في الجنة لنهراً حافتاه الأبكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها قط فذلك أفضل نعيم الجنة ، قال الراوي : فسألت أبا الدرداء بم يتغنين ؟ قال : بالتسبيح . وروي أن في الجنة لأشجاراً عليها أجراس من فضة فإذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله ريحاً من تحت العرش فتقع في تلك الاشجار فتحرك تلك الأجراس بأصوات لو سمعتها أهل الدنيا لماتوا طرباً » هذا ويأتي فصل ممتع عن السماع وأثره في باب الفوائد .

الاعراب :

(الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون) لفظ الجلالة مبتدأ وجملة يبدأ الخلق خبره ، ثم يعيده عطف على يبدأ . (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون) الظرف متعلق بيبلس وجملة تقوم في محل

جر بإضافة الظرف اليها والساعة فاعل تقوم ويبلس المجرمون فعل وفاعل • (ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين) الواو عاطفة ولم حرف نفي وقلب وجزم ويكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلم ولهم خبر يكن المقدم ومن شركائهم حال لأنه كان صفة لشفعاء في الأصل وتقدم عليه وشفعاء اسم يكن وكانوا كان واسمها وبشركائهم متعلقان بكافرين وكافرين خبر كانوا • (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون) الظرف متعلق بيتفرقون وقد تقدم اعراب نظيرها ويومئذ تأكيد لفظي للظرف • (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون) الفاء تفريعية وأما حرف شرط وتفصيل والذين مبتدأ وجملة آمنوا صلة وجملة عملوا الصالحات عطف على الصلة والفاء رابطة لما في الموصول من رائحة الشرط وهم مبتدأ وفي روضة متعلقان بيحبرون وجملة يحبرون خبر هم والجملة خبر الذين • (وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون) عطف على الجملة السابقة ونظيرها في الاعراب ومعنى محضرون أي لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم •

الفوائد :

الغناء في الجنة وغناء الحور العين :

روي عن علي رضي الله عنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن في الجنة لمجتمعاً للحور العين يرفعن بأصوات لم يسمع الخلائق بمثلها يقلن : نحن الخالدات فلا نبيد ، ونحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له » •

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « إن في الجنة نهراً طولُ الجنة حافتاه العذارى قيام متقابلات يغنين بأحسن أصوات يسمعها الخلائق حتى ما يرون أن في الجنة لذة مثلها ، قلنا يا أبا هريرة وما ذاك الغناء ؟ قال : إن شاء الله التسبيح والتحميد والتقديس وثناء على الرب عز وجل » .

لمحة عن تاريخ الغناء :

لم يكن الغناء في غابر العصور على ما نعهده اليوم من ضبط القواعد والروابط بل كان ساذجاً ، وأول من جعل له قواعد وضوابط ـ على ما قيل ـ بطليموس وهو فيلسوف رياضي اشتغل بالرياضيات والموسيقى وإليه ينسب أول سلم موسيقي ، وكان أول من غنى في العرب من النساء قينتان لعاد يقال لهما الجرادتان ومن غنائهما :

ألا يا قينُ ويحك قم وهينم   لعل الله يصبحنا غماما

وأول من غنى من الرجال في اليمن ذو جدن وهو قيل من أقيال حمير وهكذا كان غناء العرب في جاهليتهم ساذجاً كتغني الحداة في حداء إبلهم والفتيان بالقمر والنجم والفلاة والخيل . وقد ورد ذكر الغناء في شعرهم ، قال طرفة بن العبد :

إذا نحن قلنا : اسمعينا انبرت لنا

على رسلها مطروفة لم تردّد

أي لم تتكلف ، وقوله مطروفة هي التي أصيب طرفها بشيء أي كأنها أصيب طرفها لفتور نظرها ويروى مطلوقة ومطروقة .

قال ابن رشيق القيرواني في كتاب العمدة : « غناء العرب قديماً على ثلاثة أوجه : النصب والسناد والهزج ، فأما النصب فغناء الركبان والفتيان قال اسحق بن ابراهيم وهو الذي يقال له المرائي وهو الغناء الجنابي اشتقه رجل من كلب يقال له جناب بن عبد الله بن هبل فنسب إليه ومنه كان أصل الحداء وكله يخرج من أصل الطويل في العروض ، وأما السناد فالثقيل ذو الترجيع الكثير النغمات والنبرات وهو على ست طرائق : الثقيل الأول وخفيفه والثقيل الثاني وخفيفه والرمل وخفيفه ، وأما الهزج فالخفيف الذي يرقص عليه ويمشى بالدف والمزمار فيطرب ويستخف الحليم .

قال اسحق : هذا كان غناء العرب حتى جاء الله بالاسلام وفتحت العراق وجلب الغناءَ الرقيقُ من فارس والروم فغنوا الغناء المجزأ المؤلف بالفارسية والرومية وغنوا جميعاً بالعيدان والطنابير والمعازف والمزامير .

وقال الجاحظ : العرب تقطّع الألحان الموزونة على الاشعار الموزونة والعجم تمطّط الألفاظ فتقبض وتبسط حتى تدخل في وزن اللحن فتضع موزوناً على غير موزون .

ولم يزالوا على طريقتهم هذه حتى جاء الاسلام فكانوا إذ ذاك لا يطربون إلا بالقراءة والشعر الحماسي لتمكن الدين منهم ولأنهم في دور تأسيس وفتوح ، فلما استتب لهم الأمر غلب عليهم الرفه والترف فمالوا الى الدعة ، ورقت طبائعهم ولانت جوانبهم وتفرق المغنون من الفرس والروم فوقعوا الى الحجاز وصاروا موالي لهم وغنوا جميعاً

بالعيدان والطنابير والمعازف وسمع العرب تلحينهم للأصوات فلحنوا عليها أشعارهم .

تأثير الغناء :

قال الغزالي في الإحياء : « لله سر في مناسبة النغمات الموزونة للأرواح حتى انها لتؤثر فيها تأثيراً عجيباً ، فمن الاصوات ما يفرح ومنها ما ينوم ومنها ما يضحك ويطرب ومنها ما يستخرج من الأعضاء حركات على وزنها باليد والرجل والرأس ، ولا ينبغي أن يظن أن ذلك لفهم معاني الشعر بل هذا جار في الاوتار حتى قيل : من لم يحركه الربيع وأزهاره ، والعود وأوتاره ، فهو فاسد المزاج ، ليس له علاج ، وكيف يكون ذلك لفهم المعنى وتأثيره مشاهد في الصبي في مهده فانه يسكنه الصوت الطيب عن بكائه وتنصرف نفسه عما يبكيه الى الاصغاء إليه ، والجمل مع بلادة طبعه يتأثر بالحداء تأثراً يستخف معه الأحمال الثقيلة ويستقصر لقوة نشاطه في سماعه المسافات الطويلة وينبعث فيه من النشاط ما يسكره ويولهه فترى الجمال إذا طالت عليها البوادي واعتراها الإعياء والكلال تحت المحامل والأحمال إذا سمعت منادي الحداء تمدّ أعناقها ، وتصغي الى الحادي ناصبة آذانها وتسرع في سيرها حتى تتزعزع عليها أحمالها ومحاملها وربما تتلف أنفسها من شدة السير وثقل الحمل وهي لا تشعر به لنشاطها » ثم ذكر الغزالي دليلاً على ما قاله قصة العبد الذي أهلك الجمال بطيب صوته إذ جعلها تقطع مسيرة ثلاثة أيام في ليلة واحدة وبعد ذلك قال : « فإن تأثير السماع في القلب محسوس ومن لم يحركه السماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال ، بعيد عن الروحانية ، زائد في غلظ الطبع وكثافته

على الجمال والطيور بل على جميع البهائم فإن جميعها تتأثر بالنغمات الموزونة ولذلك كانت الطيور تقف على رأس داود عليه السلام لاستماع صوته ومهما كان النظر في السماع باعتبار تأثيره في القلب لم يجز مطلقاً أن يحكم فيه بإباحة ولا تحريم بل يختلف ذلك بالأحوال والاشخاص واختلاف طرق النغمات فحكمه حكم ما في القلب » .

ومن غريب ما ينقل في تأثير الغناء : خرج مخارق المغني مع بعض أصحابه الى بعض المتنزّهات فنظر الى قوس مذهبة مع أحد من خرج معه فسأله إياها فكأن المسؤول ضنّ بها وسنحت ظباء بالقرب منه فقال لصاحب القوس : أرأيت إن تغنيت صوتاً فعطفت عليك خدود هذه الظباء أتدفع إليّ هذه القوس ؟ قال نعم ، فاندفع يغني :

ماذا تقول الظباء أفرقة أم لقاء ؟
أم عهدها بسليمى وفي البيان شفاء
مرت بنا سانحات وقد دنا الإمساء
فما أحارت جواباً وطال فيها الغناء

فعطفت الظباء راجعة إليه حتى وقفت بالقرب منه مستشرفة تنظر اليه مصغية الى صوته فعجب من حضر من رجوعها ووقوفها وناوله الرجل القوس فأخذها وقطع الغناء فعاودت الظباء نفارها ومضت راجعة على سننها .

قصة المليحة صاحبة الخمار الاسود :

وقصة المليحة صاحبة الخمار الأسود مشهورة وهي من خير ما يتمثل به ويرويها الاصمعي فيقول : « قدم أعرابي بعدل من خمر العراق فباعها كلها إلا السود فشكا ذلك الى الدارمي (وهو مسكين الدارمي الشاعر) وكان قد تنسك وترك الشعر ولزم المسجد فقال : ما تجعل لي ؟ على أن أحتال لك بحيلة حتى تبيعها كلها على حكمك . قال ما شئت . قال : فعمد الدارمي الى ثياب نسكه فألقاها عنه وعاد الى مثل شأنه الاول وقال شعراً ورفعه الى صديق له من المغنين فغنى به وكان الشعر :

قل للمليحة في الخمار الأسود ماذا فعلت بناسك متعبد

قد كان شمر للصلاة ثيابه حتى خطرت له بباب المسجد

ردّي عليه صلاته وصيامه لا تقتليه بحق دين محمد

فشاع هذا الغناء في المدينة وقالوا : قد رجع الدارمي وتعشق صاحبة الخمار الاسود فلم تبق مليحة في المدينة إلا اشترت خماراً أسود وباع التاجر جميع ما كان معه فجعل اخوان الدارمي من النساك يمرون فيقون : ما صنعت فيقول ستعلمون بعد حين فلما أنفد العراقي جميع ما كان معه رجع الدارمي الى نسكه ولبس ثيابه .

هذا ولو أردنا استقصاء ما ورد في هذا الباب من التأثير العجيب لطال بنا البحث ولكنا اكتفينا بما أوردناه لئلا نخرج عن الموضوع .

فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ
وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾
وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ
ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً
وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾

الاعراب :

(فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون) الفاء الفصيحة كأنها أبانت وأفصحت عما تقدم من عظمته في الخلق وابتداء وقيام الساعة انتهاء فإذا تبين لك ذلك فسبح الله واحمده على كل حال لأن التسبيح والتقديس هما الذريعتان الى النجاة ، وقيل أشار الى الصلوات الخمس في هذه الآية لما روي عن ابن عباس عندما سئل : « هل تجد الصلوات الخمس في القرآن ؟ قال : نعم وتلا هذه الآية » ففي تمسون صلاتا المغرب والعشاء وفي تصبحون صلاة الفجر وفي العشي صلاة العصر وفي تظهرون صلاة الظهر أي تدخلون في الظهيرة . وسبحان الله مفعول مطلق لفعل محذوف وحين تمسون ظرف متعلق بسبحان وجملة

تمسون في محل جر بإضافة الظرف اليها وتمسون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل لأنها تامة ومعناها تدخلون في المساء وسيأتي بحث التمام في باب الفوائد وحين تصبحون عطف على حين تمسون . (وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون) الواو اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه وفيه نكتة أوردها الرازي وستأتي في باب الفوائد ، وله خبر مقدم والحمد مبتدأ مؤخر وفي السموات حال والأرض عطف على السموات والجملة معترضة وعشياً عطف على حين تمسون وكذلك قوله وحين تظهرون . (يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) الجملة مستأنفة أو حالية ويخرج فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو يعود على الله والحي مفعول به ومن الميت متعلقان بيخرج أي كالانسان من النطفة والطائر من البيضة ويخرج الميت من الحي عطف على ما سبق أي كالنطفة من الانسان والبيضة من الطائر .

(ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون) الواو عاطفة ويحيي الارض فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به وبعد موتها الظرف متعلق بيحيي وإحياؤها إخراج النبات منها وكذلك نعت لمصدر محذوف أي مثل ذلك الاخراج تخرجون ، وتخرجون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل وقرىء بالبناء للمعلوم فالواو فاعل .

(ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون) الواو عاطفة ومن آياته خبر مقدم وأن وما في حيزها مبتدأ مؤخر ومن تراب جار ومجرور متعلقان بخلقكم وثم حرف عطف للتراخي وإذا فجائية وأنتم مبتدأ وبشر خبر وجملة تنتشرون حال وسيأتي وقوع إذا الفجائية بعد ثم في باب الفوائد . (ومن آياته أن خلق لكم من

أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها) الواو عاطفة والجملة معطوفة على سابقتها وقد ذكر سبحانه ست آيات من آياته ، وأزواجاً مفعول خلق واللام للتعليل وتسكنوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام واليها متعلقان بتسكنوا . (وجعل بينكم مودّةً ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) وجعل عطف على خلق وبينكم ظرف في موضع المفعول الثاني لجعل ومودة هو المفعول الأول ورحمة عطف على مودة وان حرف مشبه بالفعل وفي ذلك خبرها المقدم واللام المزحلقة وآيات اسمها المؤخر ولقوم صفة لآيات وجملة يتفكرون صفة لقوم . (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين) عطف أيضاً على ما تقدم وستأتي حكمة الاختلاف بين الألسنة والألوان في باب الفوائد .

الفوائد :

١ ــ معنى التمام في أفعال النقصان عند سيبويه والجمهور هو دلالتها على الحدث والزمان ، ومعنى النقصان عندهم هو سلب الدلالة على الحدث والتجرد للدلالة على الزمان ، وذهب ابن مالك وابن هشام الى أن معنى التمام هو الاستغناء بالمرفوع عن المنصوب قال ابن مالك في الخلاصة : « وذو تمام ما برفع يكتفي » ومعنى النقصان هو عدم الاستغناء بالمرفوع عن المنصوب، وقد أورد ابن مالك عشرة أمور ليبطل بها مذهب الجمهور وهي مذكورة في شرحه على التسهيل فليرجع اليها هناك من يجب الاستقصاء ، إذا عرفت هذا فاعلم أن لـ « أصبح وأمسى وأضحى » ثلاثة معان :

١ ـ أن تقرن مضمون الجملة بالأوقات الخاصة التي هي الصباح والمساء والضحى على طريقة كان .

٢ ـ أن تفيد معنى الدخول في هذه الأوقات كأظهر وأعتم وهي في هذا الوجه تكون تامة يسكت على مرفوعها قال حميد الأرقط :

فأصبحوا والنوى عالي معرسهم
وليس كلّ النوى تلقي المساكينُ

وقبله :

باتوا وجلتنا الصهباء بينهم
كأن أظفارهم فيها السكاكين

والجلة قفة التمر تتخذ من سعف النخل وليفه ولذلك وصفها بالصهبة يقول : لما أصبحوا ظهر على معرسهم وهو موضع نزولهم نوى التمر وعلاه لكثرته على انهم لحاجتهم لم يلقوا إلا بعضه .

٣ ـ أن تكون بمعنى صار كقولك : أصبح زيد غنياً وأمسى فقيراً تريد أنه صار كذلك مع قطع النظر عن وقت مخصوص ، قال عدي بن زيد :

ثم أضحوا كأنهم ورق جفّ
فألوت به الصبا والدّبور

٢ ـ الاعتراض :

تقدم القول في الجمل المعترضة والواو الاعتراضية وقوله

« وله الحمد في السموات والأرض » الجملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه لنكتة أوردها الرازي وهي أن تسبيحهم لنفعهم لا له فعليهم أن يحمدوه إذا سبحوه لأجل نعمة هدايتهم الى التوفيق •

٣ ـ الفاء قبل إذا الفجائية :

تقدم القول في إذا الفجائية ونقول هنا إن الغالب فيها أن تقع بعد الفاء لأنها تقتضي التعقيب ووجه وقوعها مع ثم بالنسبة الى ما يليق بالحالة الخاصة أي بعد تلك الاطوار التي قصها علينا في مواضع أخر من كوننا نطفة ثم مضغة ثم عظماً مجرداً ثم عظماً مكسواً لحماً فاجأ البشرية بالانتشار أي انهم انما يصيرون بشراً بعد أطوار كثيرة •

٤ ـ الحكمة في اختلاف الألوان والألسنة :

خالف سبحانه بين الألوان والألسنة حتى ما تكاد تسمع منطقين متفقين في جرس واحد ولا جهارة واحدة وحتى ما تكاد ترى صورتين متشابهتين تمام التشابه في الألوان والسمات والقسمات لحصول التعارف وإلا فلو كانت على مسلاخ واحد وبلون واحد وتقاسيم وتقاطيع واحدة لحصل الخلل والالتباس ولانعدم التمييز بينها جميعاً حتى أن التوءمين مع توافق موادهما وأسبابهما والأمور الملاقية لهما في التخليق يختلفان في شيء من ذلك محالة مهما يتقاربا في وجوه الشبه •

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا

وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ
بِأَمْرِهِۦ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِي
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾

الاعراب :

(ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله) الواو عاطفة ومن آياته خبر مقدم ومنامكم مبتدأ مؤخر وبالليل متعلقان بمنامكم وابتغاؤكم عطف على منامكم ومن فضله متعلقان بابتغاؤكم . (إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون) إن حرف مشبه بالفعل وفي ذلك خبرها المقدم واللام المزحلقة وآيات اسمها المؤخر ولقوم صفة لآيات وجملة يسمعون صفة لقوم . (ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً) من آياته خبر مقدم ويريكم مبتدأ مؤخر على أنه فعل مضارع مؤول مع ان المصدرية المحذوفة والاصل أن يريكم وسيأتي المزيد من هذا المبحث الهام في باب الفوائد ويريكم فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على الله والكاف مفعول به أول والبرق مفعول به ثان وخوفاً وطمعاً نصب على أنهما مفعول لأجله وقد اعترض على هذا الاعراب بأن من حق المفعول له أن يكون فعلاً لفاعل الفعل المعلل ، والخوف والطمع ليسا كذلك ، والجواب عن هذا الاعتراض يأتي من جهتين إما ان المفعولين فاعل في المعنى لأنهم راءون فكأنه قيل يجعلكم رائين البرق

خوفاً وطمعاً والثاني أن يكون على تقدير حذف المضاف أي إراءة خوف وإراءة طمع فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه ويجوز أن يكونا حالين أي خائفين طامعين وسيأتي المزيد من هذا البحث في باب الفوائد .

(وينزلُ من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها) وينزل عطف على يريكم ومن السماء جار ومجرور متعلقان بينزل وماء مفعول به فيحيي عطف على ينزل وبه متعلقان بيحيي والارض مفعول به وبعد موتها الظرف متعلق بمحذوف حال. (إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) تقدم إعرابه . (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره) عطف على ما تقدم . (ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي واذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة دعاكم في محل جر بإضافة الظرف اليها ودعاكم فعل ماض وفاعل مستتر ومفعول به ودعوة مفعول مطلق ومن الأرض متعلقان بدعاكم ، يقال دعوته من أسفل الوادي فطلع إلي ، وإذا الفجائية وهي تقوم مقام الفاء في جواب الشرط وأنتم مبتدأ وجملة تخرجون خبر . (وله من في السموات والارض كلٌّ له قانتون) له خبر مقدم ومن مبتدأ مؤخر وفي السموات والأرض صلة وكل مبتدأ وله متعلقان بقانتون وقانتون خبر كل أي مطيعون طاعة انقياد .

البلاغة :

في قوله تعالى « ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله » فن اللف وقد تقدم بحثه كثيراً قال الزمخشري : « هذا من باب اللف وترتيبه : ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل

والنهار . إلا أنه فصل بين القرينتين الأوليين بالقرينتين الأخريين لأنهما زمانان والزمان والواقع فيه كشيء واحد مع إعانة اللف على الاتحاد ، ويجوز أن يراد منامكم في الزمانين وابتغاؤكم فيهما والظاهر هو الأول لتكرره في القرآن وأشدّ المعاني ما دل عليه القرآن يسمعونه بالآذان الواعية » أقول ما ذكره الزمخشري مشكل من جهة الصناعة النحوية لأنه إذا كان المعنى ما ذكره يكون النهار معمول ابتغاؤكم وقد تقدم عليه وهو مصدر وذلك لا يجوز ثم يلزم العطف على معمولي عاملين فالتركيب لا يسوغ .

وشجب ابن هشام قول الزمخشري فقال : « قول الزمخشري ومن منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إنه من اللف والنشر وان المعنى منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار ، وهذا يقتضي أن يكون النهار معمولاً للابتغاء مع تقديمه عليه وعطفه على معمول منامكم وهو بالليل وهذا لايجوز في الشعر فكيف في أفصح الكلام؟» .

أقول : إن الزمخشري لم يرد العمل الذي قاله ابن هشام بل مراده أن الليل مرتبط معنى بالمنام والنهار مرتبط معنى بالابتغاء وبالليل خبر لمبتدأ محذوف والتقدير وذلك كائن بالليل والنهار والجملة معترضة حقها التأخير .

الفوائد :

١ ــ شرط اتحاد الفاعل في المفعول لأجله :

أشرنا في الاعراب الى الاعتراض الموجه الى اعراب خوفاً وطمعاً مفعولاً لهما والرد على الاعتراض وشرط اتحاد الفاعل قاله المتأخرون

من النحاة وخالفهم ابن خروف فأجاز نصب مع اختلاف الفاعل محتجاً بهذه الآية قائلاً إن فاعل الإراءة هو الله تعالى وفاعل الخوف والطمع المخاطبون وأجاب عنه ابن مالك في شرح التسهيل فقال : « معنى يريكم يجعلكم ترون ففاعل الرؤية على هذا هو فاعل الخوف والطمع ».

ومن أمثلة حذف أن وانزال الفعل منزلة المصدر المثل المعروف « تسمع بالمعيدي خير من أن تراه » وهذا المثل يضرب لمن خبره خير من مرآه ، أول من قاله المنذر بن ماء السماء وكان يسمع بمشقة بن خمرة المعيدي ويعجبه ما يبلغه عنه فلما رآه ، وكان كريه المنظر ، قال هذا المثل فخير خبر للمصدر المنسبك من أن المضمرة في تسمع أي سماعك ، ومنه قول طرفة بن العبد :

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى
وأن أشهد اللّذات هل أنت مخلدي

وقد روى أحضر بالنصب والرفع ووجه النصب بأن مضمرة ويؤيده وأن أشهد ، وقول الآخر :

وقالوا : ما تشاء ؟ فقلت ألهو
إلى الإصباح آثر ذي أثير

وهذا البيت لعروة بن الورد العبسي من جملة أبيات منها :

أرقت وصحبتي بمضيق عمق لبرق من تهامة مستطير
سقوني الخمر ثم تكنفوني عداة الله من كذب وزور

وقالوا ما تشاء البيت ..

وأرقت : سهرت والواو للمعية والمضيق المكان الضيق وعمق بكسْر فسكون شجر ببلاد الحجاز وبضم ففتح موضع منخفض عند مكة ولعله سكن هنا للوزن والبرق متعلق بأرقت أي سهرت في هـذا الموضع لأجل برق من تهامة جهـة محبوبتي ويحتمل أن الواو حالية وحجتي مبتدأ خبره بمضيق عمق وإذا كان اصحابه فيه فهو فيه فرجع الى الاول ومستطير : منتشر وتكنفوني أحاطوا بي وعداة جمع عاد بمعنى عدو وقيل جمع عدو أي هم أعداء الله من أجل كذبهم وزورهم وهي جملة اعتراضية ويحتمـل أن عداة بدل من ضمـير الفاعل أي أحاطوا بي وقالوا : ما الذي تريده ؟ فقلت ألهو أي هو أن ألهو فأن مقدرة معنى ان ولم ينتصب الفعل لفظاً وقال الجوهري في الصحاح : « يقال افعل هـذا آثر ذي أثير أي أول كل شيء » فأشار الى أن آثر نصب عـلى الظرفية المجازية أو الحالية أي افعله حال كونه أول كل شيء يؤثر فهو أفعل تفضيل بمعنى المفعول .

٢ ـ خاض المعربون كثيراً في اعراب هـذه الآية وقد لخص أبو البقاء أقوالهم جميعاً في ثلاثة نوردها فيما يلي بنص كلامه :

« ومن آياته يريكم البرق » فيه ثلاثة أوجه أحدها أن من آياته حـال من البرق أي يريكم البرق كائناً من آياته إلا أن حق الواو أن تدخل هنا على الفعل ولكن لما قدم الفعل وكانت من جملة المعطوف أولاها الواو وحسن ذلك أن الجـار والمجرور في حكـم الظرف فهو كقوله: آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة، والوجه الثاني أن أن محذوفة أي ومن آياته أن يريكم وإذا حذفت أن في مثل هذا جاز رفع الفعل

والثالث أن يكون الموصوف محذوفاً أي ومن آياته آية يريكم فيها البرق فحذف الموصوف والعائد ويجوز أن يكون التقدير : ومن آياته شيء أو سحاب ويكون الفاعل ضمير شيء المحذوف » والوجه الثاني هو الذي اخترناه وهو الظاهر والأبعد عن التكلف وهو الموافق لاخواته التي ذكر فيها الحرف المصدري .

وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ج وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ج وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ صلے هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ج كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوٓا أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ط فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ صلے وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾

الاعراب :

(وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) الواو عاطفة وهو مبتدأ والذي خبر وجملة يبدأ الخلق صلة الذي والخلق في الاصل مصدر ولكنه اعادة الضمير في يعيده عليه بمعنى المخلوق فهو استخدام وسيأتي بحث هذا الفن الرفيع في باب البلاغة وهو الواو حالية أو عاطفة وهو مبتدأ وأهون خبره وعليه متعلقان بأهون وسيأتي السر في تذكير الضمير في قوله وهو مع أن المراد به الاعادة كما سيأتي

معنى أهون عليه وسر تأخير الجار والمجرور وهو عليه • (ولـه المثل الأعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم) الواو عاطفة وله خبر مقدم والمثل مبتدأ مؤخر والأعلى صفة وفي السموات حال والأرض عطف على السموات وهو مبتدأ والعزيز خبر أول والحكيم خبر ثان • (ضرب لكم مثلاً من أنفسكم) ضرب فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو ومعنى ضرب هنا جعل ولكم في محل نصب مفعول ثان ومثلاً هو المفعول الأول ومن أنفسكم صفة لمثلاً أي كائناً من أنفسكم فمن معناه الابتداء كأنه قال أخذ مثلاً وانتزعه من أقرب شيء منكم • (هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم) هل حرف استفهام ولكم خبر مقدم ومما حال من شركاء لأنه في الأصل نعت نكرة فقدم عليها وجملة ملكت صلة وأيمانكم فاعل ملكت ومن حرف جر زائد وشركاء مبتدأ مؤخر وفيما رزقناكم متعلقان بشركاء وما في مما ملكت بمعنى النوع والتقدير هل شركاء فيما رزقناكم كائنون من النوع الذي ملكت أيمانكم مستقرون لكم ، فكائنون هو الوصف المتعلق به مما ملكت فلما قدم صار حالاً ومستقرون هو الخبر الذي تعلق به ولكم •

(فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون) الفاء واقعة في جواب الاستفهام وأنتم مبتدأ وفيه متعلقان بسواء وسواء خبر وجملة تخافونهم خبر ثان لأنتم أو في موضع الحال من ضمير الفاعل في سواء أي فتساووا خائفاً بعضكم من بعض مشاركته له في المال ، وكخيفتكم نعت لمصدر محذوف أي خيفة مثل خيفتكم والمصدر مضاف لفاعله وأنفسكم مفعول به للمصدر وكذلك نعت لمصدر محذوف أيضاً ونفصل الآيات فعل مضارع وفاعل

مستتر تقديره نحن والآيات مفعول به ولقوم متعلقان بنفصل وجملة يعقلون صفة لقوم .

(بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم) حرف اضراب وعطف واتبع عطف على طريق الالتفات والذين فاعل اتبع وجملة ظلموا صلة الذين وأهواءهم مفعول به وبغير علم حال . (فمن يهدي من أضل الله ومالهم من ناصرين) الفاء الفصيحة ومن اسم استفهام في محل رفع مبتدأ وجملة يهدي خبر ومن مفعول يهدي وجملة أضل الله صلة والعائد محذوف أي أضله الله والواو حرف عطف وما نافية ولهم خبر مقدم ومن حرف جر زائد وناصرين مجرور لفظاً مبتدأ مؤخر محلاً ويجوز أن تجعل ما حجازية عند من يجيز تقديم خبرها على اسمها .

البلاغة :

١ ــ فن الاستخدام :

في قوله « وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده » فن الاستخدام كما قررنا في الاعراب وهو فن دقيق غامض المسلك وفيه قولان : الأول أن يأتي المتكلم بلفظة مشتركة بين معنيين اشتراكاً أصلياً متوسطة بين قرينتين أو متقدمة عليهما أو متأخرة عنهما يستخدم كل قرينة منهما في معنى من معنيي تلك الكلمة المشتركة وهذا مذهب ابن مالك سواء كان الاستخدام بضمير أو بغير ضمير ، قال الله تعالى « لكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت » فإن لفظة كتاب تحتمل الأجل المحتوم والكتاب المكتوب وقد توسطت بين لفظي أجل ، ويمحو إذ استخدمت أحد مفهوميها وهو الأجل بقرينة ذكر الأجل واستخدمت المفهوم الآخر وهو المكتوب بقرينة يمحو .

والقول الثاني انه اطلاق لفظ مشترك بين معنيين مطلقاً فيريد بذلك اللفظ أحد المعنيين ثم يعيد عليه ضميراً يريد به المعنى الآخر أو يعيد عليه ضميرين يريد بأحدهما أحد المعنيين وبالآخر المعنى الآخر بعد استعماله في معناه الثالث وهذا هو المذهب المشهور في الاستخدام وهو طريقة صاحب الايضاح ومن تبعه ومنه الآية التي نحن بصددها فقد أعاد الضمير وهو قوله « وهو أهون عليه » على الخلق بمفهومه الآخر وهو المخلوق لا بمفهومه الأول وهو المصدر ومنه قول البحتري :

فسقى الغضا والساكنيه وان هم
شبوه بين جوانحي وضلوعي

فقد أعاد ضمير شبوه على الغضا بمفهومه الآخر وهو الشجر تكون ناره قوية وبها يضرب المثل فيقال جمر الغضا مع أنه يريد مكاناً معيناً تنزل فيه محبوبته .

٢ ـ وفي هذه الآية أيضاً فن « المذهب الكلامي » وقيل ان أول من اخترعه الجاحظ وزعم أنه لا يوجد منه شيء في القرآن الكريم وهو مشحون به وتعريفه انهاحتجاج المتكلم على ما يريد اثباته بحجة تقطع المعاند له على طريقة أرباب الكلام ومنه نوع منطقي تستنتج فيه النتائج الصحيحة من المقدمات الصادقة وقد ساق الرماني في إعجازه المترجم بالنكت وفي تفسيره الجامع الكبير في الضرب الخامس من باب المبالغة من الاعجاز : اخراج الكلام مخرج الشك للمبالغة في العدل للاحتجاج .

٣ ـ سر تذكير الضمير :

تذكير الضمير في قوله « وهو أهون » مع أنه عائد على الاعادة

باعتبار كونها رداً وارجاعاً أو مراعاة للخبر وهو أهون قال الكرخي :
« وذكر الضمير فيه مع أنه راجع الى الاعادة المأخوذة من لفظ يعيده
نظرا الى المعنى دون اللفظ وهو رجعه أو رده كما نظر اليه في قوله :
« لنحيي به بلدة ميتاً » أي مكاناً ميتاً أو تذكيره باعتبار الخبر .

٤ ـ تأخير الصلة

وتأخير الجار والمجرور وهو « عليه » مع أنه مقـدم في قوله :
« هو عليّ هين » لأن المقصود مما نحن فيه هنا خلاف المقصود هناك
فإنه اختصاص الله بالقدرة على إيلاد الهم والعاقر ، وأما المقصد هنا فلا
معنى للاختصاص فيه كيف والأمر مبني على ما يعتقدونه في المشاهد
من أن الإعادة أسهل من الابتداء فلو قدمت الصلة لتغير المعنى ، وهذا
سؤال مشهور تعورف بينهم وهو انه كيف قال تعالى« وهو أهون عليه»
والافعال كلها بالنسبة الى قدرته تعالى متساوية في السهولة؟ وايضاحه أن
الأمر مبني على ما ينقاس على أصولكم ويقتضيه معقولكم من أن الاعادة
للشيء أهون من ابتدائه لأن من أعاد منكم صنعة شيء كانت أسهل
عليه وأهون من إنشائها فالإعادة محكوم عليها بزيادة السهولة وهناك
جواب آخر وهو أن تكون أهون ليست للتفضيل بل هي صفة بمعنى
هين كقولهم الله أكبر أي كبير .

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا
تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾
* مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾
مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

اللغـــة .

(حزب) : الحزب : الجماعة من الناس ، السلاح ، جند الرجل وأصحابه الذين عـلى رأيه ، النصيب ، القسم من القرآن أو غـيره والجمع أحزاب وكل قوم تشاكلت قلوبهم وأعمالهم فهم أحزاب وإن لم يلق بعضهم بعضاً .

الاعراب :

(فأقم وجهك للدين حنيفاً) الفاء الفصيحة وأقم فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت ووجهك مفعول به وللـدين متعلقان بأقم وحنيفاً حال من فاعل أقم أو من مفعوله أو من الدين . (فطرة الله التي فطر الناس عليها) مفعول به لفعل محذوف أي الزموا فطرة الله أي خلقته وإنما أضمرناه على خطاب الجماعة لقوله فيما بعد منيبين اليه كما سيأتي وقيل هي مصدر لفعل محذوف أي فطركـم فطرة والتي صفة للفطرة وجملة فطر الناس صلة وعليها متعلقان بفطر . (لا تبديل لخلق الله) الجملة تعليل للأمر بلزوم فطرته ولا نافية للجنس وتبديل اسمها المبني على الفتـح ولخلق الله خبر . (ذلك الدين القيـم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك مبتـدأ والدين خبره والقيم صفة والواو حالية أو استئنافية ولكن واسمهـا وجملة لا يعلمون خبرها . (منيبـين إليه واتقوه وأقيموا الصـلاة ولا تكونوا من المشركين) منيبين حال من فاعل الزموا المضمر كما أشرنا اليه آنفاً وهو أحسن من جعله حالاً من فاعل أقم واتقوا الله عطف على الزموا المضمرة وكذلك قوله وأقيموا الصـلاة ولا ناهية وتكونوا فعـل مضارع ناقص مجزوم بلا الناهية

والواو اسمها ومن المشركين خبرها . (من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً) من الذين بدل من قوله من المشركين بإعادة العامل وجملة فرقوا دينهم صلة وكانوا شيعاً كان واسمها وخبرها . (كل حزب بما لديهم فرحون) كل حزب مبتدأ وبما متعلقان بفرحون ولديهم الظرف متعلق بمحذوف صلة للموصول وفرحون خبر كل والجملة مفسرة مقررة لما قبلها .

وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ
رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا۟
فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ
يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ
بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ
لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾

اللغـــة :

(سلطاناً) : السلطان : الحجة تقول له سلطان مبين أي حجة والملك وعبارة القاموس : « والسلطان الحجة وقدرة الملك وتضم لامه ، والوالي مؤنث لأنه جمع سليط للدهن كأن يضيء الملك أو لأنه بمعنى الحجة وقد يذكر ذهاباً الى معنى الرجل » وفي الأساس : « وله

عليهم سلطان » ، « وما كان لي عليكم من سلطان » وله سلطان مبين : حجة وسنابك سَلِطات : طوال قال الجعدي يصف فرساً :

مُدِلاًّ على سلطات النسو ر شمّ السنابك لـم تُقلَبِ

وروّى ذُباله بالسليط وهو الزيت الجيد » وقال أبو البقاء : « والسلطان يذكر لأنه بمعنى الدليل ويؤنث لأنه بمعنى الحجة وقيل هو جمع سليط كرغيف ورغفان »

(يقنطون) : ييئسون من الرحمة وفي المصباح هو بفتح النون وكسرها سبعيتان وبابه ضرب وتعب وفي القاموس : « قنط كنصر وضرب وحسب وكرم قنوطاً وكفرح قَنَطاً وقناطة وكمنع وحسب وهاتان على الجمع بين اللغتين يئس فهو قنط كفرح وقنّطه تقنيطاً آيسه والقَنْط المنع وزُبَيْبُ الصبي » .

الاعراب :

(وإذا مس الناس ضرٌّ دعوا ربهم منيبين إليه) كلام مستأنف مسوق لتصوير طبائع الناس المتقلبة وترجحهم بين الرجاء والقنوط ، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة مس في محل جر بإضافة الظرف اليها والناس مفعول به مقدم وضر فاعل مؤخر وجملة دعوا ربهم لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وربهم مفعول به ومنيبين حال من فاعل دعوا واليه متعلقان بمنيبين . (ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون) ثم حرف عطف للترتيب والتراخي وإذا شرطية وجملة أذاقهم في محل جر بإضافة الظرف اليها ومنه حال لأنه كان في الأصل صفة لرحمة ورحمة مفعول به ثان وإذا الفجائية

وهي رابطة لجواب إذا الأولى بشرطها فهي تخلف الفاء في الربط وفريق مبتدأ ومنهم صفة وبربهم متعلقان بيشركون وجملة يشركون خبر . (ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون) اللام للتعليل أو العاقبة والصيرورة وقيل هي لام الأمر والمراد بالأمر التهديد والوعيد ويكفروا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام وبما متعلقان بيكفروا وجملة آتيناهم صلة ، فتمتعوا الفاء عاطفة وتمتعوا فعل أمر التفت فيه من الغيبة الى الخطاب للمبالغة في زجرهم والفاء واقعة في جواب الأمر وسوف حرف استقبال وتعلمون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل . (أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلم بما كانوا به يشركون) أم حرف عطف منقطعة فهي بمعنى بل وأنزلنا فعل وفاعل وعليهم متعلقان بأنزلنا وسلطاناً مفعول به والفاء حرف عطف وهو مبتدأ وجملة يتكلم خبر وبما جار ومجرور متعلقان بيتكلم وجملة كانوا صلة ويجوز أن تكون ما مصدرية وكان واسمها وبه متعلقان بيشركون وجملة يشركون خبر كانوا .

(وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها) عطف على ما تقدم وجملة فرحوا بها لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وجملة أذقنا في محل جر بإضافة الظرف اليها . (وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون) عطف أيضاً وتصبهم فعل الشرط وسيئة فاعل والباء سببية وما اسم موصول في محل جر بالباء والجار والمجرور متعلقان بتصبهم وجملة قدمت لا محل لها وإذا الفجائية وقد نابت عن الفاء في ربط الجواب بالشرط وهم مبتدأ وجملة يقنطون خبر وجملة إذا هم يقنطون في محل جزم جواب الشرط . (أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) الهمزة للاستفهام الانكاري المفيد للتقرير والواو

عاطفة على محذوف يقتضيه السياق ولم حرف نفي وقلب وجزم ويروا فعل مضارع مجزوم بلم وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي يروا وان واسمها وجملة يبسط الرزق خبرها ولمن متعلقان ببسط وجملة يشاء صلة ويقدر عطف على يبسط. (إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) تقدم إعراب نظائرها كثيراً .

البلاغة :

في قوله (أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلم) مجاز عقلي كما تقول كتابه ناطق بكذا وهذا مما نطق به القرآن ومعناه الدلالة والشهادة فهو يشهد بشركهم أو بالذي يشركون به .

فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾

الاعراب :

(فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل) الفاء الفصيحة لأنها أفصحت عن مقدر تقديره إن عرفت أن السيئة أصابتهم بما قدمت

أيديهم فآت • وآت فعل أمر مبني على حذف حرف العلة وفاعله مستتر تقديره أنت وذا القربى مفعول به أول وحقه مفعول به ثان ، وقد احتج أبو حنيفة بهذه الآية على وجوب النفقة للمحارم إذا كانوا محتاجين وعاجزين عن الكسب والشافعي قاس القرابات على ابن العم لأنه لا ولادة بينهم • والمسكين عطف على ذا القربى وكذلك ابن السبيل • (ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون) ذلك مبتدأ وخير خبر وللذين متعلقان بخير وجملة يريدون صلة والواو فاعل ووجه الله مفعول به أي ثوابه وأولئك مبتدأ وهم مبتدأ ثان والمفلحون خبر هم والجملة خبر أولئك • (وما آتيتم من رباً ليربوا في أموال الناس فلا يربو عند الله) الواو عاطفة وما شرطية في محل نصب مفعول به مقدم لآتيتم وآتيتم فعل وفاعل ومن رباً حال وليربوا اللام للتعليل ويربوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام والجار والمجرور متعلقان بآتيتم وفي أموال الناس متعلقان بيربوا وسيأتي معنى الظرفية في باب البلاغة والفاء رابطة لجواب الشرط ولا نافية ويربوا فعل مضارع مرفوع والجملة في محل جزم جواب الشرط وعند الله متعلق بيربوا • (وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) عطف على ما تقدم ومعنى قوله فأولئك هم المضعفون ذوو الاضعاف من الثواب وسيأتي سر الالتفات في باب البلاغة •

(الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم) الله مبتدأ والذي خلقكم خبره وجملة خلقكم صلة وما بعده عطف عليه • (هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون) هل حرف استفهام ومن شركائكم خبر مقدم ومن للتبعيض، ومن يفعل مبتدأ مؤخر ومن ذلكم متعلق بمحذوف حال من شيء لأنه

كان في الأصل صفة له ومن حرف جر زائد وشيء مجرور بمن لفظاً مفعول به ليفعل محلاً وزيدت له لأن النكرة في حيز الاستفهام المتضمن معنى النفي وسبحانه مفعول مطلق لفعل محذوف وتعالى فعل ماض وعما متعلقان بتعالى وما مصدرية أو موصولية .

البلاغة :

١ ــ الكناية :

في قوله « ليربوا في أموال الناس » كناية لأن الزيادة التي يأخذها المرابي من أموال الناس لا يملكها أصلاً فالظرفية هي موضع الكناية .

٢ ــ الالتفات :

في قوله « فأولئك هم المضعفون » التفات عن الخطاب الى الغيبة للتعظيم فهو أمدح من أن يقول لهم فأنتم المضعفون وفيه حذف المفعول به أي ثوابهم .

ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم
بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟
كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ
لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾
مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِىَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾

الاعراب :

(ظهر الفساد في البر والبحر بمــا كسبت أيدي النّاس) كلام مستأنف مسوق لتقرير ما عم في مختلف الأنحاء من البر والبحر من مفسدة وظلم ولهو ولعب وسائر ما يطلق عليه الفساد الذي هو ضد الصلاح • وظهر الفساد فعل وفاعل وفي البر والبحر متعلقان بظهر أو بمحذوف حــال ولعله أرجح وبما متعلقان بظهر أي بسبب كسبهم فما مصدرية أو بسبب الذي كسبوه فهي موصولية وأيدي الناس فاعل كسبت • (ليذيقهــم بعض الذي عملوا لعلهــم يرجعون) الــلام لام التعليل ويذيقهم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة والأولى أن يعلق الجار والمجرور بمحذوف أي عاقبهم بذلك وقيل اللام ليست للتعليل بل للصيرورة لأن ذلك هو مآلهم وصيرورتهم وأجاز أبو البقاء تعليقه بظهر ، والهاء مفعول به أول ليذيق وبعض الذي عملوا مفعوله الثاني ولعل واسمها وجملة يرجعون خبرها • (قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل) جملة سيروا في الارض مقول القول فانظروا عطف على سيروا وكيف اسم استفهام في محل نصب خبر كان المقدم وكان واسمها والجملة في محل نصب بانظروا المعلقة بالاستفهام ومن قبل متعلقان بمحــذوف صلة الذين • (كان أكثرهم مشركين) كلام مستأنف مسوق لبيان أن ما أصابهم كان لفشو الشرك في أكثرهم والفساد والمعاصي في أقلهــم • (فأقــم وجهك للــدين القيم) الفاء الفصيحة وأقم فعل أمر وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت يعود عــلى الرسول صلى الله عليه وسلم والمراد أمته ووجهك مفعول به وللدين متعلقان بأقم والقيم صفة للدين أي اجعل وجهتك اتباع الدين القيم البليغ الاستقامة وقد تقدم تفسير هذه الكلمة •

(من قبل أن يأتي يوم لا مردّ له من الله يومئذ يصّدّعون)
من قبل متعلقان بمحذوف حال وان وما بعدها في تأويل مصدر مضاف اليه ويوم فاعل يأتي ولا نافية للجنس ومرد اسمها وله خبرها والجملة صفة ليوم ومن الله لك أن تعلقه بيأتي أي يأتي من الله يوم لا يرده أحد ولك أن تعلقه بمحذوف يدل على المصدر المنسبك من أن ويرده ولا يجوز تعليقه بمرد لأنه يصبح عندئذ شبيهاً بالمضاف فيعرب ، ويومئذ ظرف أضيف لمثله متعلق بيصدعون والتنوين عوض عن جملة ويصدعون مضارع حذفت إحدى تاءيه أي يتفرقون يوم إذ يأتي هذا اليوم ، يقال : تصدع القوم إذا تفرقوا ، ومنه الصداع لأنه يفرق شعب الرأس ، وقال الشاعر :

وكنا كندماني جذيمة حقبة   من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

(من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون)
الجملة مفسرة لا محل لها مسوقة لتفسير قوله يصدعون ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ وكفر فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والفاء رابطة للجواب وعليه خبر مقدم وكفره مبتدأ مؤخر والجملة في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من ، ومن عمل صالحاً عطف على ما سبقه مماثل له في اعرابه وقوله صالحاً يجوز أن يكون مفعولاً به وأن يكون نعتاً لمصدر أي عملاً صالحاً والفاء رابطة ولأنفسهم متعلقان بيمهدون والجملة جواب الشرط أي يمهدون فرشهم الوثيرة ويوطئونها لئلا تنبو بهم فتتجافى مضاجعهم وتتنغص عيشهم • (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله إنه لا يحب الكافرين) اللام للتعليل ويجزي فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام والجار والمجرور متعلقان بيمهدون أو بيصدعون

أو بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف أي ذلك كائن ليجزي والذين مفعول يجزي وجملة آمنوا صلة وعملوا الصالحات عطف عـلى يجزي ومن فضله متعلقان بيجزي وان واسمها وجملة لا يحب خبرها والكافرين مفعول به والجملة لا محل لها من الاعراب لأنها تعليلية .

البلاغـة :

في قوله (فأقم وجهك للدين القيم) جناس المناسبة اللفظي لأن للجناس أصلين وهما جناس المزاوجة وجناس المناسبة وقد تقدم ذكر هذا مستوفى .

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ
وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ
ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ
ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا
فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ
إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ
لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ
إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

اللغــة :

(الرياح) : أحد جموع الريح والريح مؤنثة وتجمع أيضاً عـلى أرواح وأرياح وريح ، وجمع الجمع أراويح وأراييح ، والرياح أربع : الجنوب وهي القبلية ، والشمال وهي الشمالية ، والصبا وهي الشرقية، والدبور وهي الغربية ، والثلاثة الأول رياح الرحمة والرابعة هي ريح العذاب ، وقد تقدم أن لفظ الريح لم يأت في القرآن إلا في الشر وجاء الجمع في الخير ومن ذلك نرى أن العربية غنية بمـدلولاتها وانا إذا أوغلنا في الألفاظ المخصصة لبعض الأمور استنبطنا مفاهيم ربما كنا لا نعيرها التفاتاً في كتابتنا الحديثة •

(كسفاً) : بكسر ففتح ويجوز تسكين السين جمع كسفة أي قطعة وفي القاموس : « الكسفة بالكسر القطعـة من الشيء والجمع كِسَف وكِسْف وجمـع الجمـع أكساف وكسوف وكسفـه يكسفه قطعه » •

(الودق) : المطر •

الاعراب :

(ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات) كلام مستأنف مسوق لعرض آياته تعالى ومن آياته خبر مقدم وأن ومافي حيزها مبتدأ مؤخر والرياح مفعول به ومبشرات حال وهذا هو الغرض الأول في ارسالها • (وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) الواو عاطفة والجملة عطف على قوله مبشرات لأن الحال

والصفة تتعاوران في افهام العلة فكأن التقدير ليبشركم وليذيقكم ، وعبارة الزمخشري بهذا الصدد : « فإن قلت بم يتعلق وليذيقكم ؟ قلت : فيه وجهان : أن يكون معطوفاً على مبشرات على المعنى كأنه قيل ليبشركم وليذيقكم وأن يتعلق بمحذوف تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا أرسلناها » ومن رحمته متعلقان بيذيقكم وسيأتي معنى هذا المجاز في باب البلاغة ولتجري الفلك عطف أيضاً وبأمره حال ولتبتغوا من فضله عطف أيضاً ولعلكم تشكرون لعل واسمها وجملة تشكرون خبرها .

(ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً الى قومهم فجاءوهم بالبينات) كلام مستأنف مسوق لتسليته صلى الله عليه وسلم وتأنيساً له وإيذاناً بالنصر ، واللام موطئة للقسم وقد حرف تحقيق وأرسلنا فعل وفاعل ومن قبلك حال ورسلاً مفعول به والى قومهم جار ومجرور متعلقان بأرسلنا فجاءوهم عطف على أرسلنا وبالبينات متعلقان بجاءوهم أو بمحذوف حال . (فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) الفاء عاطفة على محذوف تقديره فكذبوهم فانتقمنا ومن الذين متعلقان بانتقمنا وجملة أجرموا صلة وكان الواو استئنافية وكان فعل ماض ناقص وحقاً خبرها المقدم وعلينا متعلقان بحقاً أو بمحذوف صفة له ونصر المؤمنين اسمها المؤخر وهذا هو الاعراب المستقيم وقد تكلف بعض المعربين فأجازوا أن يكون حقاً مصدراً وعلينا الخبر وأن يكون في كان ضمير الشأن وحقاً مصدر وعلينا نصر مبتدأ وخبراً في موضع نصب خبر كان وفي هذا الكلام من تعظيم أمر المؤمنين وتأهيلهم للكرامة واستحقاق الاثابة والنصر ما فيه وفي تعريف المؤمنين تنويه بهم وإلماع الى أن من تخلّف عن مراتبهم لا يستحق هذه

المنّة الكبرى • (الله الـذي يرسـل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء) كـلام مستأنف أيضاً لتفصيل ما أجمله من ذكر الرياح وأحوالها والله مبتدأ والـذي خبره وجملة يرسل الرياح صلة فتثير عطف على يرسل وسحاباً مفعول به والفاء عاطفة ويبسطه عطف على تثير أيضاً وفي السماء متعلقان بيبسطه وكيف أداة شرط وتعليق كقولهـم كيف تصنع أصنع وكيف تكون أكون إلا أنه لا يجزم بهـا وجوابها محذوف لدلالة ما قبلها عليه وكذلك مفعول يشاء وقد تقدم أن المفعول بعد يشاء يكون محذوفاً في الغالب والتقدير كيف يشـاء بسطه يبسطه فحذف بسطه لأنه مفعول يشاء وحـذف يبسطه لدلالة يبسطه الأول عليه وكيف منصوب على الحال بالفعل بعده والمعنى على أي حال شاء أن يبسطه يبسطه وسيأتي مزيد بحث عن كيف الشرطية في باب الفوائد • (ويجعـله كسفاً فترى الودق يخرج من خـلاله) ويجعله عطف على يبسطه والهاء مفعول يجعـل الاول وكسفاً مفعوله الثاني ، فترى عطف على ما تقـدم وفاعل ترى مستتر تقـديره أنت والودق مفعول به وجملة يخـرج حالية لأن الرؤية هنا بصـرية ومن خلاله متعلقان بيخرج •

(فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هـم يستبشرون) الفاء عاطفة وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة أصاب في محل جرّ بإضافة الظرف اليها وبه متعلقان بأصاب ومن يشاء مفعول أصاب ومن عباده حال وإذا فجائية واقعة في جواب إذا الاولى وهم مبتـدأ وجملة يستبشرون خبر • (وإن كانوا من قبل أن ينزّل عليهم من قبله لمبلسين) الواو حالية أو عاطفة وإن مخففة من الثقيلة مهملة أو عاملة في ضمير شأن محذوف وكان واسمها ومن قبل متعلقان بمحذوف حال

وأن وما في حيزها مصدر مؤول مضاف لقبل وينزل فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بأن وعليهم متعلقان به ونائب الفاعل مستتر تقديره هو واللام الفارقة ومبلسين خبرها ومن قبله الثانية قيـل هي تكرير وتوكيد لمن قبل الأولى قال الزمخشري : « من باب التكرير والتوكيد كقوله تعالى فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها . ومعنى التوكيد فيه الدلالة على أن عهدهم بالمطر قد تطـاول وبعد فاستحكـم يأسهم وتمادى إبلاسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهـم بذلك » وقال ابن عطية : « وفائدة هذا التأكيد الاعلام بسرعة تقلب قلوب البشر من الابلاس الى الاستبشار وذلك أن قوله : من قبل أن ينزل عليهم يحتمل الفسحة في الزمان أي من قبل أن ينزل بكثير فجاء قوله من قبله بمعنى أن ذلك متصل بالمطر فهو تأكيد مفيد » .

(فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها) الفاء الفصيحـة أي إذا أردت أن تعرف ما يترتب عـلى انزال المطر فانظر ، وانظر فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت والى آثار رحمة الله متعلقان بانظر وكيف اسم استفهام في محل نصب على الحال وهي معلقة لانظر عن العمل والارض مفعول به وبعد موتها ظرف متعلق بيحيي والجملة بدل من آثار فهي في حيز النصب بنزع الخافض والمعنى بعد كل هذا فانظر الى إحيائه البـديع للأرض بعد موتها والمراد التنبيه على عظيم قدرته وسعة رحمته . (إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير) إن واسمها أي إن ذلك القادر واللام المزحلقـة ومحيي الموتى خبرها وهو مبتدأ وعلى كل شيء متعلقان بقدير وقدير خبر هو .

البلاغـة :

في قوله « وليذيقكم من رحمته » استعارة ومجاز فالاستعارة

في قوله ليذيقكم وقد تقدمت نظيراً وهي استعارة مكنية والمجاز المرسل في قوله من رحمته وهو مجاز مرسل علاقته الحالية لأن الرحمة تحل في الخصب والمطر فأطلق الحال وأريد المحل وفسر بعضهم الرحمة بقوله : « أي من نعمته من المياه العذبة والأشجار الرطبة وصحة الأبدان وما يتبع ذلك من أمور لا يحصيها إلا الله » .

الفوائـد :

كيف أيضاً :

جاء في المغني ما نصه : « وتستعمل على وجهين : أحدهما أن تكون شرطاً فيقتضي فعلين متفقي اللفظ والمعنى غير مجزومين نحو كيف تصنـع أصنـع ولا يجوز كيف تجلس أذهب باتفاق ولا كيف تجلس أجلس بالجزم عند البصريين إلا قطرباً لمخالفتها لأدوات الشرط بوجوب موافقة جوابها لشرطها كما مر ، وقيل يجوز مطلقاً وإليه ذهب قطرب والكوفيون ، وقيـل يجوز بشرط اقترانهـا بما ، قالوا ومن ورودها شرطاً « ينفق كيف يشاء » « يصوركم في الأرحام كيف يشاء » « فيبسطه في السماء كيف يشاء » وجوابهـا في ذلك كله محـذوف لدلالة ما قبلها وهذا يشكل عـلى اطلاقهـم أن جوابها يجب مماثلته لشروطها » وقد استدرك بعض المعلقين على المغني فقال « أجاب بعضهم بأنه يمكن أن يقدر الجواب موافقاً للشرط بأن يقدر الجواب فعـل مشيئته متعلقة بالفعل السابق وهو دال عليه لأن الفعـل الاختياري يستلزم المشيئة والأصل كيف يشاء أمراً يشاء التصوير في الارحام ، كيف يشاء أمراً يشاء الانفـاق ، كيف يشاء أمراً يشاء بسطه ، غاية الأمر أن متعلق الفعلين مختلف وهذا جواب بعيد لأنهم قالوا لدلالة ما قبلها لأن المتبادر انه دال على الجواب وعلى دفع الاشكال فيكون

ما قبلها دالاً على متعلق جوابها لا على نفس جوابها وقد علمت دفع هذا بأن الفعل الاختياري وهو الفعل الواقع قبلها يستلزم المشيئة وهو الجواب المحذوف » .

وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾

الاعراب :

﴿ ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفراً لظلوا من بعده يكفرون ﴾ الواو عاطفة واللام موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط وأرسلنا فعل وفاعل في محل جزم فعل الشرط وريحاً مفعول أرسلنا فرأوه عطف على أرسلنا وهو فعل وفاعل ومفعول به ومصفراً حال ولظلوا اللام واقعة في جواب القسم وظلوا فعل ماض ناقص والواو اسمها والجملة لا محل لها لأنها جواب القسم وقد أغنت عن جواب الشرط حسب القاعدة المشهورة :

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم

جواب ما أخرت فهو ملتزم

ومن بعــده حال وجملة يكفرون خبر ظلوا • (فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصمّ الدعاء إذا ولوا مدبرين) الفاء تعليلية والجملة تعليل لمحذوف أي لا تجزع ولا تحزن على عدم ايمانهم فإنهم موتى صم عمي ، وان واسمها وجملة لا تسمع الموتى خبرها ولا تسمع الصم الدعاء عطف على الجملة السابقة والصم مفعول تسمع الاول والدعاء مفعول تسمع الثاني وإذا ظرف مستقبل متعلق بتسمع وجمــلة ولوا مضاف اليها الظرف وولوا فعــل وفاعــل ومدبرين حال من الواو •

(وما أنت بهادي العمي عن ضــلالتهم) الواو عاطفة وما نافية حجــازية وأنت اسمها والباء حرف جر زائد وهادي مجرور لفظــاً منصوب محلاً لأنه خبر ما والعمي مضاف اليه وعن ضلالتهم متعلقان بالعمي أو بهادي على تضمين هادي معنى صارف وقد تقدم نظيره • (إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) إن نافية وتسمع فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر تقديره أنت وإلا أداة حصر ومن مفعول به وجملة يؤمن صلة من وبآياتنا متعلقان بيؤمن ، فهم الفاء عاطفة على المعنى وهم مبتدأ ومسلمون خبر • (الله الذي خلقكم من ضعف) الله مبتدأ والذي خبر وجملة خلقكم صلة ومن ضعف متعلقان بخلقكم• (ثم جعل من بعد ضعف قوة) ثم حرف عطف وتراخ وجعل فعل ماض ومن بعد ضعف مفعول جعل الثاني أو متعلق بجعل وقوة مفعول جعل• (ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير) ثم وما بعدها عطف على ما تقدم وجملة يخلق ما يشاء حالية وهو مبتدأ والعليم خبر أول والقدير خبر ثان •

وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟
يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ
ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾
فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ
ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ
ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ
لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

اللغــــة :

(الساعة) : القيامة سميت بذلك لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا أو لأنها تقع بغتة وبديهة وجرت علماً لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة وفي القاموس : « والساعة جزء من أجزاء الجديدين الوقت الحاضر والجمع ساعات وساع» والقيامة أو الوقت الذي تقوم فيه القيامة والهالكون كالجاعة للجياع » والساعة أيضاً آلة يعرف بها الوقت بحسب الساعات (مولـــدة) ومنهـــا الساعة الرملية والساعة الشمسية •

(يستعتبون) : يطلب منهم العتبى أي الرجوع ، من قولك استعتبني فلان فأعتبته أي استرضاني فأرضيته وذلك إذا كنت جانياً عليه وحقيقة أعتبته أزلت عتبه ، ألا ترى الى قوله :

غضبت تميم أن تقتل عامراً
يوم النسار فأعتبوا بالصيلم

كيف جعلهم غضاباً ثم قال فأعتبوا أي أزيل غضبهم ، والغضب في معنى العتب ، والصيلم ماء لبني عامر والصيلم الداهية والسيف كما في الصحاح . وفي المصباح : « عتب عليه عتباً من بابي ضرب وقتل ومعتباً أيضاً لامه في سخط فهو عاتب وعتاب مبالغة وبه سمي ومنه «عتّاب ابن أسيد » وعاتبه معاتبة وعتاباً ، قال الخليل : حقيقة العتاب مخاطبة الإدلال ومذاكرة الموجدة ، وأعتبني الهمزة للسلب أي أزال الشكوى والعتاب واستعتب طلب الإعتاب والعتبى اسم من الإعتاب » .

(يستخفنك) : يحملنك على الخفة والطيش بترك الصبر .

الاعراب :

(ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة) الظرف متعلق بيقسم وجملة تقوم الساعة في محل جر باضافة الظرف اليها ويقسم المجرمون فعل وفاعل وما نافية ولبثوا فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها واقعة في جواب القسم وغير ساعة ظرف متعلق بلبثوا . (كذلك كانوا يؤفكون) كذلك نعت لمصدر محذوف أي يصرفون عن الحق وهو الصدق كما صرفوا عن الحق وهو البعث وكان واسمها

وجملة يؤفكون خبرها ويؤفكون فعل مضارع مبني للمجهول .
(وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث) الواو عاطفة وقال الذين فعل وفاعل وجملة أوتوا صلة والعلم مفعول به ثان لأوتوا والايمان عطف على العلم وجملة لقد لبثتم مقول القول واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق ولبثتم فعل وفاعل وفي كتاب الله حال أي محسوبة في علم الله وقدره والى يوم البعث متعلقان بلبثتم . (فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون) الفاء الفصيحة لأنها أفصحت عن شرط مقدر كأنه قال إن كنتم منكرين للبعث فهذا يوم البعث أي فقد تبين بطلان قولكم . ولكنكم الواو حالية ولكن واسمها وجملة كنتم خبرها وجملة لا تعلمون خبر كنتم .
(فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون) الفاء تفصيل لما قبلها مما يفهم من أن تقليل مدة اللبث فهي الفصيحة أيضاً ويومئذ ظرف أضيف الى مثله وهو متعلق بينفع والتنوين عوض عن جملة محذوفة أي يوم إذ قامت الساعة وحلف المشركين كاذبين ورد عليهم الذين أوتوا العلم والايمان من الملائكة وغيرهم ولا نافية وينفع فعل مضارع والذين ظلموا مفعوله المقدم ومعذرتهم فاعل ينفع وقرىء ينفع بالياء والتاء لأن معذرتهم مؤنث غير حقيقي أو بمعنى العذر والواو حرف عطف ولا نافية وهم مبتدأ وجملة يستعتبون خبر ويستعتبون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل .

(ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) الواو استئنافية واللام موطئة للقسم وقد حرف تحقيق وللناس متعلقان بضربنا وفي هذا القرآن متعلقان بمحذوف حال ومن كل مثل صفة لمفعول به محذوف أي موعظة أو قصة من كل مثل أو تكون من

للتبعيض ويكون الجار والمجرور في موضع نصب على أنه مفعول ضربنا أي وصفنا لهم كل صفة كأنها مثل في غرابتها وطرافتها . (ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون) الواو عاطفة واللام موطئة للقسم وإن شرطية وجئتهم فعل وفاعل ومفعول به في موضع فعل الشرط وبآية متعلقان بجئتهم وليقولن اللام واقعة في جواب القسم ويقولن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة فاللام مفتوحة باتفاق القراء والفاعل هو الاسم الموصول من باب اقامة الظاهر مقام المضمر وقد تقدم ذكره كثيراً وجملة كفروا صلة وإن نافية وأنتم مبتدأ وإلا أداة حصر ومبطلون خبر أنتم والجملة مقول القول . (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) الكاف نعت لمصدر محذوف أي مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الجهلة الذين لا يعلمون وجملة لا يعلمون صلة الذين . (فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لايوقنون) الفاء الفصيحة أي إذا علمت أن حالهم بهذه المثابة فاصبر ، واصبر فعل أمر والفاعل مستتر تقديره أنت وجملة إن وعد الله حق تعليل للأمر بالصبر ولا الواو عاطفة ولا ناهية ويستخفنك فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة وهو في محل جزم بلا الناهية والكاف مفعول به مقدم والذين فاعل يستخفنك المؤخر وجملة لا يوقنون صلة.

البلاغـة :

في قوله« ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة » جناس تام وقد تقدم البحث في هذا الفن ونريد الآن أن نستوفي أبحاثه فهو ضروب كثيرة منها المماثلة وهي أن تكون اللفظة واحدة باختلاف

المعنى نحـو قول زياد الاعجم وقيل الصلتان العبدي يرثي المغـيرة ابن المهلب :

فانعَ المغـيرةَ للمغـيرةِ إذ بدت
شعـواء مشعلة كنبـح النابـح

فالمغيرة الاولى : رجل ، والمغيرة الثانية : الفرس وهي ثانية الخيل التي تغير ، وقال أبو نواس في ابن الربيع :

عبـاس عبـاس إذا احتـدم الوغى
والفضـل فضـل والربيع ربيـع

وقال أبو تمام :

ليالينـا بالرقمتـين وأهلنـا
سقى العهدَ منك العهدُ والعهدُ والعهدُ

فالعهد الأول المسقى : هو الوقت ، والعهد الثاني هو الحفاظ من قولهم فلان ماله عهد ، والعهد الثالث الوصية من قولهم عهد فلان الى فلان وعهـدت إليه أي وصّاني ووصّيته ، والعهـد الرابع المطر وجمعه عهاد ، واستثقل قوم هذا التجنيس وحق لهم .

هذا وقد ولع أبو تمام بالتجنيس كثيراً فأجاد في بعضه وأسف في بعضه الآخر وقد أوردنا فيما سبق من هـذا الكتاب نمـاذج من حسناته وسيئاته ويبدو التكلف ظاهراً فيه .

أما ابن الرومي فليس من هواة الصناعة اللفظية ولم يكن يشغل باللفظ كثيراً وانما كان يجانس لمعنى يراه هو ولا يجانس لتزويق فارغ ولهو سخيف ، ومن مليح ما جاء له :

للسود في السود آثار تركن بها
لمعاً من البيض تثني أعين البيض

فالسود الأول : الليالي،والسود الآخر : شعرات الرأس واللحية والبيض الأول الشيبات والبيض الآخر النساء .

وقوله :

فيسبيك بالسحر الذي في جفونه
ويصبيك بالسحر الذي هو نافثه

أو مثل هذا البيت :

تصيب إذا حكمت وإن طلبنا
لديك العرف كنت حياً تصوب

أو مثل هذا البيت :

ليس ينفك طيرها في اصطحاب
تحت أظلال أيكها واصطخاب

وهكذا كان في كل تجنيسه الذي لا تعسف فيه وليس هو بالكثير البارز في ديوانه الكبير فإذا جنس في غير ذلك فهو عابث متعمد للعبث وليس بملفق محسّنات ولا بطالب تزويق كما قال :

لو تلفّفت في كساء الكسائي وتلبّست فروة الفـــرّاء
وتخلّلت بالخليـل وأضحى سيبويه لـــديك رهن سباء
وتكوّنت من سواد أبي الاسو د شخصاً يكنى أبا السوداء
لأبى الله أن يعدك أهـل العـــلم إلا من جمـلة الأغبيـاء

ومن علماء البيان من جعل له اسماً سماه به وهو الترديد أي أن اللفظة الواحدة رددت فيه ، وهو أن يأتي الشاعر بلفظة متعلقة بمعنى ثم يرددها بعينها متعلقـة بمعنى آخر في البيت نفسه أو في قسم منه ، قال أبو تمام :

خفّت دموعك في إثر القطـــين لـدن
خفّت من الكثُب القضبـان والكثب

الترديد في خفت ولو جعلت الكثب ترديداً لجاز .

وقال أبو الطيب المتنبي وأحسن ما شاء :

أمـير أمـير عليـه النـدى جواد بخيـل بأن لا يجودا

والترديد في أول البيت ، والعلماء بالشعر مجمعون على تقديم أبي حية النميريّ في قوله :

ألا حيّ من أجـل الحبيب المغانيـا
لبسن البــلى ممـا لبسن اللياليـا

إذا ما تقاضى المـــرء يوماً وليـــلة
تقاضـــاه شيء لا يمـــل التقاضيا

وما أجمل قول أبي نواس :

دع عنك لومي فإن اللـــــوم إغراء
وداوني بالتي كـــانت هي الـــداء

صفراء لا تنزل الأكـــدار ساحتهـــا
لو مسهـــا حجر مستهـــا ســـراء

وكذلك قول أبي تمام :

راح إذا ما الراح كن مطيّهـــــا
كانت مطايـــا الشوق في الأحشـــاء

ردد مطيّها ومطايا الشوق .

ونعود للآية الكريمـــة فنذكر أن ابن أبي الحديد قد نازع في كتابه المسمى بالفلك الدائر على المثل السائر في هذا وقال :

ان المعنى واحد في الآية ، فان يوم القيامة وان طال فهو عند الله تعالى كالساعة الواحدة عند أحدنا ، وحينئذ فاطلاق الساعة عليه مجاز كقولنا رأيت أسداً وزيـــد أســـد ، وأردنا بالأول حيواناً وبالثاني الرجل الشجاع .

ولم نر أحداً نازع فيما ذكرناه غير ابن أبي الحديد ، فتدبر .

سورة لقمان

مكية وآياتها اربع وثلاثون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً
لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ
هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ
﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ
وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ
مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾

اللغة :

(لهو الحديث) اللهو كل باطل ألهى عن الخير يقال لهوت لهواً وفلان مشتغل بالملاهي وفيهن ملهى وملعب ، قال زهير :

وفيهن مَلهى للصديق ومنظر
أنيقٌ لعين الناظر المتوسم

الملهى اللهو أو موضعه ، يقول : وفي هؤلاء النسوان لهو أو موضع لهو للمتأنق الحسن المنظر ومناظر معجبة لعين الناظر المتتبع محاسنهن وسمات جمالهن •

(وقرا) : صمماً •

الاعراب :

(ألم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين) ألم تقدم اعرابها ، وتلك مبتدأ وآيات الكتاب خبر والحكيم صفة للكتاب وسيأتي معنى إسناد الحكمة اليه في باب البلاغة ، وهدى ورحمة حالان من الآيات والعامل فيهما مافي تلك من معنى الاشارة ، وقرأ حمزة بالرفع على أنهما خبر لمبتدأ محذوف أي هو هدى ورحمة وللمحسنين متعلقان بمحذوف صفة أو بنفس المصدر • (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون) الذين نعت للمحسنين وجملة يقيمون الصلاة صلة ويؤتون الزكاة عطف عليها داخل في حيز الصلة وهم مبتدأ وبالآخرة متعلقان بيوقنون وهم الثاني تأكيد للأول وجملة يوقنون خبر هم • (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) تقدمت الآية بلفظها في سورة البقرة • (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم) كلام مستأنف مسوق لتقرير حال اللاهين الذين يستنزفون أوقات فراغهم باللهو ومضاحيك الكلام ولغو الحديث وباطله ، وسيأتي في باب الفوائد ما قالوه في أسباب نزولها / ومن الناس خبر مقدم ومن اسم موصول مبتدأ مؤخر ومن مفرد لفظاً جمع معنى وروعي لفظها أولاً في ثلاثة ضمائر يشتري ويضل ويتخذ وروعي معناها في موضعين

وهما أولئك لهم ثم رجع الى اللفظ في خمسة ضمائر وهي وإذا تتلى الى آخر الآية كما سيأتي وجملة يشتري لهو الحديث صلة وليضل اللام للتعليل ويضل فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والجار والمجرور متعلقان بيشتري وعن سبيل الله متعلقان بيضل وبغير علم حال من فاعل يشتري أي يشتري غير عالم بحال ما يشتريه وقد تقدم تقرير الاستعارة في الاشتراء في سورة البقرة • (ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين) ويتخذها بالنصب عطفاً على ليضل وقرىء بالرفع عطفاً على يشتري والضمير للسبيل لأنها مؤنثة ويتخذها فعل مضارع وفاعل مستتر تقديره هو والهاء مفعول يتخذ الاول وهزواً مفعوله الثاني وأولئك مبتدأ ولهم خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر ومهين صفة والجملة خبر أولئك •

(وإذا تتلى عليه آياتنا ولّى مستكبراً) الواو عاطفة وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة تتلى في محل جر باضافة الظرف اليها وتتلى فعل مضارع مبني للمجهول وعليه متعلقان بتتلى وآياتنا نائب فاعل وجملة ولى لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ومستكبراً حال • (كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم) كأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن المحذوف وجملة لم يسمعها خبرها والجملة نصب على الحال من فاعل ولى وكأن حرف تشبيه ونصب وفي أذنيه خبر كأن المقدم ووقراً اسم كان المؤخر والجملة حال أيضاً من فاعل لم يسمعها أو بدل من جملة كأن لم يسمعها وأجاز الزمخشري أن تكون جملتا التشبيه استئنافيتين ، فبشره الفاء الفصيحة وبشره فعل أمر وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت والهاء مفعول به والأمر بالبشارة هو للتهكم وبعذاب متعلقان ببشره وأليم صفة •

البلاغـة :

١ ـ الاسناد المجازي :

في قوله تعـالى « الكتاب الحكيم » إسناد مجازي ويجوز أن يكون بمعنى ذي الحكمة ، وقال الزمخشري : « ويجوز أن يكون الأصل الحكيم قائله فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فبانقلابه مرفوعاً بعـد الجر استكن في الصفـة المشبهة بعـد » وهـذا من أروع التعليل .

٢ ـ الايجاز :

وفي قولـه : « للمحسنين » إيجـاز بليـغ أي الذين يعملون الحسنات وهي لا تحصى ولكنه خص منها هذه الثلاث ، ونظير هـذا الايجاز قول أوس بن حجر في مرثاته لفضالة بن كلدة :

الألمعـي الـذي يظـن بك الظـن
كـأن قـد رأى وقـد سمعـا

حكي عن الأصمعي أنه سئل عن الألمعي فأنشده ولم يزد ، وهذه المرثاة من أفضل ما سمع في الرثاء وأولها :

أيتهـا النفس أجملي جزعـاً   إن الذي تحذرين قد وقعـا
إن الذي جمع السماحة والنجد   ة والبـر والتقى جُمعـا
الألمعي الذي يظن الـخ ...
أودى فلا تنفع الاشاحة من   أمر لمن يحـاول البدعـا

يقول : يا نفس احتملي جزعاً عظيماً إن الـذي تخافين منه قد حصل ، وبيّنه بقوله إن الذي جّمع •••• وأودى : هلك ، وجُمعاً بالضم توكيد للصفات قبله والألمعي نصب عـلى النعت للذي وفسره بأنه الذي يظن بك يعني كـل مخاطب أي يظن الظن الحـق كـأنه قد رأى وسمع ما ظنه أو يظن الظن فيصيب كأنه قد رآه إن كان فعلاً أو سمعه إن كان قولاً وفيه نوع من البديع يسمى التفسير وهو أن يؤتى بمعنى لا يستقل الفهم بمعرفته دون تفسيره •

الفوائـد :

١ ـ قصة النضر بن الحارث :

اعلم أن المقصود بآيات الله أن يتوجه الخطاب فيها الى العموم ولكن أسباب النزول خاصة ، ثم تسري أحكامها فيما بعد على العموم وقد ذكروا في أسباب نزول قوله «ومن الناس من يشتري لهو الحديث» الآية أن النضـر بن الحارث كان يأتي الحـيرة فيتجر ويشتري كتب أخبار الأعاجم ويحدث بها أهـل مكة ويقول : إن محمـداً يحدثكم بأحاديث عاد وثمود وأنا أحدثكم بأحاديث فارس والروم فيستملحون حديثه ويتركون استمـاع القرآن • والحـيرة بكسر الحـاء مدينة بقرب الكوفة •

٢ ـ معنى الإضافة :

إضافة اللهو الى الحديث معناها التبيين وهي الاضافة بمعنى من وضابطها أن يكون المضاف بعـد المضاف إليه صالحاً للاخبار به عنه كخاتم فضة ، وقد مر هذا البحث في مكان آخر من هذا الكتاب •

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ
فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ
تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ
وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ
ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾

الاعراب :

(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم) كلام مستأنف مسوق لبيان حال المؤمنين وان واسمها وجملة آمنوا صلة وعملوا الصالحات عطف على آمنوا ولهم خبر مقدم وجنات النعيم مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خبر إن • (خالدين فيها وعد الله حقاً وهو العزيز الحكيم) خالدين حال مقدرة من المجرور باللام في لهم أي مقدراً لهم الخلود فيها إذا دخلوها وفيها متعلقان بخالدين ووعد الله حقاً : مصدران مؤكدان الأول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره لأن معنى لهم جنات النعيم وعدهم الله بها فأكد معنى الوعد بالوعد وحقاً دال على معنى الثبات أكد به معنى الوعد ، وعاملها مختلف فتقدير الأولى وعد الله ذلك وعداً وتقدير الثانية وحقه حقاً ومؤكدهما جميعاً واحد وهو قوله لهم جنات النعيم وهو مبتدأ والعزيز خبر أول والحكيم خبر ثان • (خلق السموات بغير عمد ترونها) الجملة مستأنفة مسوقة للتدليل على قدرته وعزته سبحانه • وخلق فعل ماض

وفاعله مستتر تقديره هو والسموات مفعول به وبغير عمد في موضع نصب على الحال أي حالية من عمد وقد مر نظـيره في الرعد وجملة ترونها صفة لعمد أي بغير عمد مرئية • (وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة) وألقى عطف على خلق وفاعله مستتر تقديره هو يعود عـلى الله وفي الأرض متعلقان بألقى ورواسي صفـة مفعول به محذوف أي جبالاً رواسي وان وما في حيزها في محل نصب مفعول لأجله أي أن لا تميد بكم أو كراهة أن تميد بكم وبكم متعلقان بتميد وبثّ عطف عـلى ألقى وفيها متعلقان ببث ومن كل دابة صفة لمفعول به محذوف أي حيوانات من كل دابة •

(وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم) وأنزلنا عطف على طريق الالتفات عن الغيبة الى التكلم وأنزلنا فعل وفاعل ومن السماء متعلقان بأنزلنا وماء مفعول به فأنبتنا عطف على أنزلنا وفيها متعلقان بمحذوف حال ومن كل زوج متعلقان بأنبتنا أو صفة لمفعول محذوف أي نباتاً من كل زوج وكريم صفة لزوج • (هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه) هذا مبتدأ والاشارة الى ما ذكر من مخلوقاتـه وخلق الله خبر والخلق بمعـنى المخلـوق ، فأروني الفاء الفصيحة وأروني فعـل أمر يحتاج لثلاثة مفاعيـل الياء أولها وجملة الاستفهام المعلقة سدت مسد المفعولين الباقيين ويجوز أن تكون أروني بمعنى أخبروني فتتعدى لمفعولين الأول مفرد صريح وهو ضمير المتكلم والثاني الجملة الاستفهامية ، وماذا اسم استفهام في محل نصب مفعول مقدم لخلق أو ما اسم استفهام مبتدأ وذا اسم موصول خبر وخلق الذين فعل وفاعل ومن دونه صلة الذي• (بل الظالمون في ضلال مبين) بل اضراب انتقالي والظالمون مبتدأ وفي ضلال خبر ومبين صفة نضلال.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا
يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ
وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾

الاعراب :

(ولقد آتينا لقمان الحكمة) كلام مستأنف مسوق لبيان بطلان الشرك واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وآتينا فعل وفاعل ولقمان مفعول به أول والحكمة مفعول به ثان وسيأتي الكلام مفصلاً عن لقمان وترجمته . (أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد) يجوز أن تكون أن هي المفسرة لأن الايتاء فيه معنى القول أي قلنا له اشكر ويجوز أن تكون على بابها فهي في تأويل مصدر في موضع نصب كما حكى سيبويه كتبت إليه أن قم والأول أظهر ، ولله متعلقان باشكر ومن الواو استئنافية ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ويشكر فعل الشرط والفاء رابطة وانما كافة ومكفوفة والجملة في محل جزم جواب الشرط ومن كفر عطف على ومن يشكر داخلة في حيزها والجملة خبر من . (وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه) الظرف متعلق بمحذوف أي اذكر وجملة قال لقمان في محل جر باضافة الظرف اليها ولابنه متعلقان بقال والواو واو الحال وهو مبتدأ وجملة يعظه خبر والجملة حالية . (يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) الجملة مقول القول ولا ناهية وتشرك فعل مضارع مجزوم بلا وبالله متعلقان بتشرك وجملة

إن الشرك تعليل للنهي لا محل لها وان واسمها واللام المزحلقة وظلم خبرها وعظيم صفة •

الفوائـد :

لقمان وترجمته ولمح من أخباره :

قيل هو اسم أعجمي فهو ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة وقيل عربي فهو ممنوع من الصرف للعلمية وزيادة الألف والنون والأول أظهر وأورده صاحب القاموس في مادة لقم وقال « ولقمان الحكيم اختلف في نبوته وأكثر الأقاويل أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً » • ولطرافة شخصيته وما نسج حولها من الأساطير نورد الأقوال السبعة فيه باختصار :

١ ـ قال قتادة: خيّره الله بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة فقذفت عليه وهو نائم فأصبح ينطق بالحكمة فسئل عن ذلك فقال : لو أرسل الله إليّ النبوة عزمة لرجوت الفوز بها ولكنه خيرني فخفت أن أضعف عن النبوّة •

وقيل : كان من النوبة قصيراً أفطس الأنف وقيل كان حبشياً •

٢ ـ قال سعيد بن المسيّب : كان أسود من سودان مصر ذا مشفر حكمته من حكمة الأنبياء ، وقيل كان خيّاطاً وقيل راعياً فرآه رجل كان يعرفه قبل ذلك فقال : ألست عبد بني فلان ؟ كنت ترعى بالأمس ؟ قال : بلى ، قال : فما بلغ بك ما أرى؟ قال : وما يعجبك من أمري ؟ قال : وطء الناس بساطك وغشيانهم بابك ورضاهم بقولك ،

قال : يا ابن أخي إن صنعت ما أقول لك كنت كذلك، قال : وما أصنع؟ قال:غض بصري،وكف لساني وعفة طمعي وحفظ فرجي وقيامي بعهدي ووفائي بوعدي وتكرمة ضيفي وحفظ جاري وترك مالا يعنيني فذلك الذي صيرني كما ترى ، ويروى أنه قال : قدر الله وأداء الأمانة وصدق الحديث وترك مالا يعنيني •

٣ ـ وقال أنس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحكمة تزيد الشرف شرفاً وترفع المملوك حتى يجلس مجالس الملوك ، قال الله تعالى : « ولقد آتينا لقمان الحكمة » •

٤ ـ وقال الثعالبي المفسر : اتفق العلماء على أن لقمان لم يكن نبياً إلا عكرمة تفرد بأنه نبي •

٥ ـ وقال وهب بن منبه : كان لقمان ابن أخت داود عليه السلام وقيل ابن خالته وكان في زمنه وكان داود يقول له : طوبى لك أوتيت الحكمة وصرفت عنك البلوى ، وأوتي داود الخلافة وبلي بالبلية ، وكان داود يغشاه ويقول : انظروا الى رجل أوتي الحكمة ووقي الفتنة •

٦ ـ وقال عبد الوارث : أوتي لقمان الحكمة في قالة قالها ، فقيل : وهل لك أن تكون خليفة فتعمل بالحق ؟ فقال : إن تختر لي فسمعاً وطاعة وان تخيرني أختر العافية وإنه من يبع الآخرة بالدنيا يخسرهما جميعاً ولأن أعيش حقيراً ذليلاً أحب إلي من أن أعيش قوياً عزيزاً ، وقيل كان عبداً نجاراً ، فقال له سيده اذبح شاة وائتني

بأطيب مضغتين فأتاه بالقلب واللسان ثم أمره بمثل ذلك وأن يخرج أخبث مضغتين فأخرج القلب واللسان ، فقال له : ما هذا ؟ فقال : ليس شيء أطيب منهما إذا طابا ولا أخبث منهما إذا خبثا •

٧ً ــ وقال أبو اسحق الثعالبي : كان لقمان من أهون مماليك سيده عليه فبعثه مولاه مع عبيد له الى بستانه يأتونه بشيء من ثمر فجاءوه وما معهم شيء وقد أكلوا الثمر وأحالوا على لقمان ، فقال لقمان لمولاه : ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً فاسقني وإياهم ماء حميماً ثم أرسلنا لنعدو ففعل فجعلوا يتقيئون تلك الفاكهة ولقمان يتقيأ ماء فعرف مولاه صدقه وكذبهم • وروي أنه دخل على داود عليه السلام وهو يسرد الدرع فأراد أن يسأله فأدركته الحكمة فسكت فلما أتمها لبسها وقال : نعم لبوس الحرب أنت ، فقال : الصمت حكمة وقليل فاعله ، فقال له داود : بحق ما سميت حكيماً •

هذا وأخبار لقمان وحكمته أكثر من أن تستوعبها ترجمة فحسبنا ما تقدم •

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى
عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ
بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ
سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾

اللغـــة :

(وهناً) : الوهن : الضعف وفي المختار : « الوهن الضعف وقد وهن من باب وعد ووهنه غيره يتعدى ويلزم ووهن بالكسر يهن وهناً لغة فيه وأوهنه غيره ووهنه توهيناً والوهن والموهن نحو من نصف الليل ، قال الاصمعي : هو حين يدبر الليل » •

(وفصاله) : فطامه وفي القاموس : « الفصال : فطم الولد » وفيه أيضاً : « وفصل الولد عن الرضاع وبابه ضرب » •

الاعراب :

(ووصّينا الانسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين) كلام معترض على سبيل الاستطراد في أثناء وصية لقمان مؤكد لما اشتملت عليه من النهي عن الشرك • ووصينا فعل وفاعل والانسان مفعول به وبوالديه متعلقان بوصينا وجملة حملته أمه اعتراضية بين المفسِّر والمفسَّر وحملته أمه فعل ماض ومفعول به وفاعل ووهناً على وهن حال من أمه أي ذات وهن أو مصدر مؤكد لفعل هو الحال أي تهن وهناً وعلى وهن صفة للمصدر أي كائناً على وهن وقيل منتصب بنزع الخافض أي حملته بضعف على ضعف ، وقال الزجاج : المعنى لزمها بحملها إياه أن يضعف مرة بعد مرة ، وقال الزمخشري : « أي حملته أمه تهن وهناً على وهن كقولك رجع عوداً على بدء وهو في موضع الحال والمعنى أنها تضعف ضعفاً فوق ضعف أي يتزايد ضعفها ويتضاعف لأن الحمل كلما ازداد وعظم ازدادت ثقلاً وضعفاً » والواو عاطفة وفصاله مبتدأ وفي عامين خبر •

(أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير) أن مفسرة والجملة تفسير لوصّينا كما تقدم واختار الزجاج أن تكون أن على بابها أي مصدرية ومحل المصدر النصب بنزع الخافض والجار والمجرور متعلقان بوصينا وليس قوله ببعيد واشكر فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت ولي متعلقان باشكر ولوالديك عطف على لي وإلي ّ خبر مقدم والمصير مبتدأ والجملة استئنافية • (وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما) الواو عاطفة وإن شرطية وجاهداك فعل ماض وفاعل ومفعول به وهو في محل جزم فعل الشرط وعلى حرف جر وأن تشرك المصدر المؤول مجرور بعلى والجار والمجرور متعلقان بجاهداك وبي متعلقان بتشرك وما موصول مفعول به وجملة ليس صلة ولك خبر ليس المقدم وبه متعلقان بعلم وعلم اسم ليس المؤخر ، فلا الفاء رابطة ولا ناهية وتطعهما فعل مضارع مجزوم بلا والفاعل مستتر تقديره أنت والهاء مفعول به والميم والألف حرفان دالان على التثنية وجملة فلا تطعهما في محل جزم جواب الشرط •

(وصاحبهما في الدنيا معروفاً) الواو عاطفة وصاحبهما فعل أمر وفاعل مستتر تقديره أنت ومفعول به وفي الدنيا حال ومعروفاً صفة لمصدر محذوف أي صحاباً معروفاً واختار بعضهم أن ينصب بنزع الخافض أي بالمعروف • (واتبع سبيل من أناب إلي ّ ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون) واتبع فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وسبيل مفعول به ومن مضاف اليه وجملة أناب صلة من وإلي ّ متعلقان بأناب ، ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي وإلي ّ خبر مقدم ومرجعكم مبتدأ مؤخر ، فأنبئكم الفاء عاطفة وأنبئكم فعل مضارع وفاعل مستتر تقديره أنا والكاف مفعول به وبما متعلقان بأنبئكم وكنتم تعملون كان واسمها وجملة تعملون خبرها •

البلاغـة :

في قوله « ما ليس لك به علم » فن عكس الظاهر أو نفي الشيء بإيجابه وقد تقدم القول فيه مراراً ، فقـد أراد بنفي العلـم نفيه أي لا تشرك بي ما ليس بشيء يريد الأصنام على حد قوله « على لاحب لا يهتدى بمناره » أي ما ليس بإله فيكون لك علم بالإلهية .

يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ
أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ
إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى
ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ
وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

اللغـة :

(خردل) : الخردل : نبات له حب صغـير جـداً أسود مقرّح الواحدة خردلة ويقال خردل الطعام أكل خياره وخردل اللحم قطـع أعضاءه وافرةً صغاراً ، ولحم خراديل : مقطع ومفرد ويضرب بها المثل في الضآلة وقد تقدم هذا في الأنبياء .

(ولا تصعّر) : لا تحل وجهك تكبراً ، قال أبو عبيدة : وأصل الصعر داء يصيب البصير ويلتوي عنقه ، ولما كان ذلك قد يكون لغرض من الأغراض التي لا تدوم أشار الى المقصود به بقوله للناس بلام العلة أي لا تفعل ذلك لأجل الإمالة عنهم • وفي المصباح : الصعر بفتحتين ميل في العنق وانقلاب في الوجه الى أحد الشدقين وربما كان الانسان أصعر خلقة أو صعره غيره بشيء يصيبه وهو مصدر من باب تعب وصعر خدّه بالتثقيل وصاعره أماله عن الناس إعراضاً وتكبراً » وفي الأساس : « في عنقه وخده صَعَر : ميل من الكبر ، يقال : لأقيمنّ صَعَرَكَ ، ويقول : في عينه صَوَر ، وفي خده صَعَر ، وهو أصعر ، وصعّر خده وصاعره ولا تصاعر خدك وفلان متصاعر وقد تصاعر ، قال حسان :

ألسنا نذود المعْلَمين لدى الوغى

ذياداً يسلّي نخوة المتصاعر

والنعام صعر خلقة والابل تَصَاعَرُ في البُرى وفي الحديث : « يأتي على الناس زمان ليس فيهم إلا أصعر أو أبتر » •

وللصاد مع العين فاء وعينا للكلمة خاصة الصلف والاستعلاء يقال أمر صعب وخطة صعبة وعقبة صعبة وهي من العقاب الصعاب ووقع في خطط صعاب ولا يخفى مافي ذلك من الصلف والاستعلاء وأصْعب الجمل لم يُركب ولم يمسسه حبل فهو مُصْعَب ومن مجاز هذه المادة : فلان مُصْعب" من المصاعب كما تقول قرم من القروم ويقال صَعِد السطحَ وصعد الى السطح وصعد في السلم وفي السماء وتصعد وتصاعد وصعّد في الجبل وطال في الأرض تصويبي وتصعيدي

وأصعد في الأرض ذهب مستقبل أرضٍ أرفع من الأخرى وأصعدت السفينة مُدّ شراعها فذهبت بها الريح وعليك بالصعيد أي اجلس على الأرض وصعيد الأرض وجهها وتنفّس الصعداء إذا علا نفسه وذهب السهم صُعُداً وكأن قامتــه صَعْدة وهي القنــاة النابتة مستقيمة ، قال الأحنف :

إن عــلى كــل رئيس حقّــا

أن يخضب الصّعـــدةَ أو تنــدقّا

ومن المجاز : له شرف صاعد وجد مساعد ، ورتبته بعيدة المصعد والمصاعد ، وعنق صاعد : طويل ، وجارية صَعْدَة : مستقيمة القامة ، وجَوَارٍ صَعْدات بالسكون ، وأخذ مائة فصاعداً بمعنى فزائداً ، وأرهقته صَعُوداً : حملته مشقّة .

والصعافقة هــم الذين يحضرون السوق بغـير رأس مال فإذا اشترى أحد شيئاً دخلوا معــه فيه . وصعقتهم السماء وأصعقتهم : أصابتهم بصاعقة وهي نار لا تمر بشيء إلا أحرقته مع وقع شديد ، والصعلكة معروفة وهي الفقر والذهــاب في الأرض بعيــداً ، قــال أبو داود :

مثلِ عَيْرِ الفلاة صعلكه البقــــلُ مشيحٍ بأربعٍ عَسِرات

أربع أتن ، وقال ذو الرمة :

تخيــل في المرعى لهــنّ بشخصه

مُصَعْلَكُ أعلى قُلّةِ الرأس نِقْنِقُ

(واقصــد في مشيك) : أي توسط فيه ، قــال الزمخشري : « واعــدل فيه حتى يكون مشياً بين مشيين : لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثب الشطار ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن » وأما قول عائشة في عمر رضي الله عنهما : « كان إذا مشي أسرع » فإنما أرادت السرعــة المرتفعة عــلى دبيب المتماوت » .

(واغضض من طرفك) : وانقص منه واقصر ، من قولك فلان يغض من فلان إذا قصر به ووضع منه ، وفي الاساس : « واغضض من صوتك : اخفض منه ، وغَضّ طرفك ، وطرف غضيض ، وغَضّ من لجام فرسك أي صوبه وطأ منه لتنقص من غَرَبه ، واغضُض لي ساعة أي احبس علي مطيتك وقف عليّ ، قال الجعدي :

خليلي غضّا ساعة وتهجرا

أي احبسا عليّ ركابكما ساعــة ثم ارتحــلا متهجّرين ، وفلان غضيض : ذليل بين الغضاضة وعليك في هذا غضاضة فلا تفعل ولحقته من كذا غضاضة أي نقص وعيب » .

الاعراب :

(يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل) يا بني تقدم اعرابه كثيراً وهذا من تتمة وصية لقمان ، وان واسمها وإن شرطية وتك فعل مضارع مجزوم لأنه فعل الشرط وعلامة جزمه السكون المقدر عــلى النون المحذوفة للتخفيف واسم تك مستتر يعود الى الخطيئة وذلك

أن ابن لقمان قال : يا أبت إن عملت الخطيئة حيث لا يعلمها أحد كيف يعلمها الله ؟ فقال يا بني انهـا إن تك مثقال حبة من جنس الخردل ، ومثقال خبر تك وحبة مضاف اليه ومن خردل صفة لحبة أي فكانت مثلاً لحبة الخردل في الصغر والقماءة .(فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير) فتكن عطف على تك واسم تكن مستتر تقديره هي أي الخطيئة والهنة وفي صخرة خبر تكن ، أو في السموات أو في الأرض عطف على في صخرة أي في أخفى مكان من الثلاث المذكورات ويأت جواب الشرط وعلامة جزمه حذف حرف العلة وبهـا متعلقان بيأت والله فاعـل وإن واسمها وخبراها .

(يا بني أقم الصلاة وأمُر بالمعروف وانه عن المنكر) أقم فعل أمر وفاعله مستتر وجوباً تقديره أنت والصـلاة مفعول به وأمر بالمعروف عطف وكذلك وانه عن المنكر . (واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور) إن وخبرها المقدم واسمها المؤخر ومعنى عزم الأمور : من معزوماتها فهو مصدر بمعنى المفعول أو بمعنى الفاعل أي من عازمات الأمور أي مما جعله الله عزيمة وأوجبه عـلى عباده .

(ولا تصعر خـدك للناس ولا تمش في الارض مرحاً) الواو حرف عطف ولا ناهية وتصعر فعل مضارع مجزوم بلا وفاعله مستتر تقديره أنت وللناس متعلقان بتصعر ولا تمش عطف عـلى ولا تصعر وفي الارض متعلقان بتمش ومرحاً مصدر وقع موقـع الحال أو نعت لمصدر محذوف أي مشياً مرحاً أو مفعول لأجله أي لا تمش لأجـل المرح والأشر .

وعبـارة الزمخشري « أراد ولا تمش تمـرح مرحاً أو أوقـع المصدر موقع الحال بمعنى مرحاً ويجوز أن يراد لأجل المرح والأشر » .

(إن الله لا يحب كل مختال فخور) إن واسمها وجملة لا يحب خبرها وكل مفعول يحب وفخور عطف على مختال • (واقصد في مشيك واغضض من صوتك) الواو عاطفة واقصد فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وفي مشيك متعلقان باقصر واغضض من صوتك عطف على ما تقدم • (إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) الجملة تعليل للأمر بخفض الصوت بصورة مؤكدة كما سيأتي في باب البلاغة وإن واسمها والأصوات مضاف اليه واللام المزحلقة للتأكيد وصوت الحمير خبر إن •

البلاغة :

في قوله : « إنها إن تك مثقال حبة من خردل » الآية فن التمام أو التتميم وقد تقدمت الاشارة الى الفن في مواطن من هذا الكتاب ، والمعنى انه تمم خفاء الهنة أو الخطيئة في نفسها بخفاء مكانها من الصخرة والأخفى من الصخرة كأن تكون في صخرة مستقرة في أغوار الأرض السحيقة أو في الأعالي من أجواز الفضاء ، ومنه في الشعر قول الخنساء :

وإن صخراً لتأتمّ الهداة به كأنه علم في رأسه نار

فقولها « في رأسه نار » تتميم جميل لا بد منه لتجسيد الظهور والشهرة للسارين والغادين •

وقول عنترة العبسي :

أثني عليّ بما علمت فإنني
سهل مخالقتي إذا لم أظلم

فقوله « لم أظلم » تتميم حسن •

ومن التتميم الحسن قول امرىء القيس يصف الفرس :

على هيكـــل يعطيك قبـــل سؤاله
أفانـــين جري غـــير كزّ ولا واني

فقوله « قبـــل سؤاله » تتميم عجيب لقولـــه « أفانين جري »

وما أجمل قول زهير بن أبي سلمى في هذا الباب :

من يلق يوماً عـــلى عـــلاته هرمـاً
يلق السماحـــة منـــه والنـــدى خلُقا

والتتميم هنا في قوله « على عـــلاته » وهو تتميم عجيب تضمن مبالغة أعجب • ويجري على هـــذا المنوال قول ابن محكان السعدي حين قدم الى القتل :

ولست ـــ وإن كـــانت إليّ حبيبـــة ـــ
ببـــاك على الدنيـــا إذا ما تولـــت

قال أبو العباس المبرد : فاستثنى : « وإن كانت إليّ حبيبة » استثناء مليحاً ، ونوى التقديم والتأخير فلذلك جاز له أن يأتي بالضمير مقدّماً على مظهره •

٢ ـــ التأكيد بأن وفنون أخرى :

ومن بديع هـــذه الآية « إن أنكر الأصوات لصوت الحمـــير » فنون عديدة نشير اليها :

أ ـ فقد أتى بالتمثيل مؤكداً بإن أولاً وعزز هذا التأكيد باللام فصار الكلام خبراً إنكارياً كأنّ التمثيل أمر مبتوت فيه لا يتطرق اليه الشك ، فقد تدخل إن في الجملة فترى الكلام بها مستأنفاً غير مستأنف مقطوعاً موصولاً معاً ، واستخدامها على هذا الوجه يحتاج الى تدبر وروية معاً ، وقد خفي سر هذا الاستخدام حتى على أفراد العلماء ؛ روي عن الأصمعي أنه قال : كنت أسير مع أبي عمرو بن العلاء وخلف الأحمر وكانا يأتيان بشاراً فيسلمان عليه بغاية الاعظام ثم يقولان يا أبا معاذ ما أحدثت ؟ فيخبرهما وينشدهما ويسألانه ويكتبان عنه متواضعين له حتى يأتي وقت الزوال ثم ينصرفان ، وأتياه يوماً فقالا : ما هذه القصيدة التي أحدثتها في سَلْم بن قتيبة ؟ قال : هي التي بلغتكم . قالوا : بلغنا أنك أكثرت فيها من الغريب ، قال : نعم بلغني أن سلم بن قتيبة يتباصر بالغريب فأحببت أن أرد عليه مالا يعرف ، قالا : فأنشدناها يا أبا معاذ فأنشدهما :

بكّرا يا صاحبيّ قبل الهجير
إن ذاك النجاح في التبكير

حتى فرغ منها فقال له خلف : لو قلت يا أبا معاذ مكان « إن ذاك النجاح في التبكير » « بكّرا فالنجاح في التبكير » كان أحسن فقال بشار : إنما بنيتها أعرابية وحشية فقلت : « إن ذاك النجاح في التبكير » كما يقول الأعراب البدويون ولو قلت : بكرا في النجاح كان هذا من كلام المولدين ولا يشبه ذاك الكلام ولا يدخل في معنى القصيدة ، قال : فقام خلف فقبل بين عينيه . قال عبد القاهر في تعليقه على هذه القصة : « فهل كان هذا القول من خلف والنقد على بشار إلا للطف المعنى في ذلك وخفائه ؟ » .

ومضى عبد القاهر في تحليله لبيت بشار فقال : أما ان الجملة مستأنفة مع إنّ فلأنها غير معطوفة على ما قبلها بالواو وهي واقعة في جواب سؤال مقدر فكأن سائلاً سأل : ولماذا يطلب الى صاحبيه أن يبكرا قبل الهجير فكان الجواب : إن ذاك النجاح في التبكير واما انها تصل جملتها بالجملة السابقة فالدليل عليه أنك لو أسقطت « إن » من الجملة لرأيت الجملة الثانية لا تتصل بالأولى ولا تكون منها بسبيل حتى تجيء بالفاء فتقول : بكرا صاحبي قبل الهجير فذاك النجاح في التبكير ولعل ذلك هو سر لطفها ودقتها وجزالة التعبير بها وهو سمة البناء الأعرابي الوحشي على عكس ما لو قال : بكرا فالنجاح في التبكير فهو بناء سهل واضح الترابط بالفاء وذلك سمة بناء الجمل عند المولّدين وإذا كانت الفاء تفيد الربط فانها لا تفيد التوكيد الذي تدل على « إن » وهذا البناء الجزل هو الذي جاء في القرآن الى درجة لا يدركها الاحصاء .

ويروي عبد القاهر في دلائل الاعجاز حديث يعقوب بن اسحق الكندي المتفلسف إذ ركب الى أبي العباس وقال له : إني لأجد في كلام العرب حشواً فقال له أبو العباس : في أي موضع وجدت ذلك ؟ فقال : أجد العرب يقولون : عبد الله قائم ثم يقولون : إن عبد الله قائم ثم يقولون : إن عبد الله لقائم فالألفاظ متكررة والمعنى واحد . كلام العرب حشواً فقال أبو العباس : في أي موضوع وجدت ذلك ؟ فقال أبو العباس : بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ فقولهم عبد الله قائم إخبار عن قيامه وقولهم إن عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل وقولهم : إن عبد الله لقائم جواب عن انكار منكر قيامه. فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني .

وانما أطلنا في الاقتباس لدقة هذا البحث وخفائه وهو في الآية التي نحن بصددها واقع أجمل موقع وألطفه ، موضح لتعليل الأمر بخفض الصوت مبني على تشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير وتمثيل أصواتهم بالنهيق وافراط في التنفير عن رفع الصوت وقد أجاد الخطيب في تعليله لهذا التعليل وننقل فصله بطوله لروعته وابداعه قال :

« فإن قيل : لم ذكر المانع من رفع الصوت ولم يذكر المانع من سرعة المشي ؟ أجيب بأن رفع الصوت يؤذي السامع ويقرع الصماخ بقوته وربما يخرق الغشاء الذي في داخل الأذن وأما سرعة المشي فلا تؤذي وإن آذت فلا تؤذي غير من في طريقه والصوت يبلغ من على اليمين وعلى اليسار ولأن المشي يؤذي آلة المشي والصوت يؤذي آلة السمع وآلة السمع على باب القلب فإن الكلام ينقل من السمع الى القلب ولا كذلك المشي ، وأيضاً فلأن قبيح القول أقبح من قبيح الفعل وحسنه أحسن لأن اللسان ترجمان القلب ، ولما كان رفع الصوت فوق الحاجة منكراً كما أن خفضه دونها يعتبر تماوتاً وتكبراً وكان قد أشار الى النهي عن هذا بمن فأفهم أن الطرفين مذمومان علّل النهي عن الأول بقوله إن أنكر أي أفظع وأشنع الأصوات برفعها فوق الحاجة لصوت الحمير أي هذا الجنس لما له من العلو المفرط من غير حاجة فإن كل حيوان قد يفهم من صوته أنه يصيح من ثقل أو تعب كالبعير أو لغير ذلك والحمار لو مات تحت الحمل لا يصيح ولو قتل لا يصيح وفي بعض أوقات عدم الحاجة يصيح وينهق بصوت أوله شهيق وآخره شهيق » .

ب ـ توحيد الصوت :

وقال الزمخشري : « لمَ وحّد صوت الحمير ولم يجمع ؟ قلت ليس المراد أن يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع وانما المراد أن كل جنس من الحيوان الناطق له صوت وأنكر أصوات هذه الأجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده » .

الاستعارة التصريحية :

وفي هذه الآية الاستعارة التصريحية حيث أخلي الكلام من لفظ التشبيه وأخرج مخرج الاستعارة فجعلوا حميراً وجعل صوتهم نهاقاً مبالغة في الذم والتهجين وإفراط في النهي عن رفع الصوت والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة الموجعة وكذلك نهاقه .

ومن استفحاشهم لذكره مجرداً وتفاديهم من اسمه انهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح به فيقولون الطويل الأذنين ، وعن عبد الحميد الكاتب انه قال : لا تركب الحمار فإنه إن كان فارهاً أتعب يدك وإن كان بليداً أتعب رجلك . وقال أعرابي : بئس المطية الحمار إن وقفته أدلى وإن تركته ولى ، كثير الروث ، قليل الغوث ، سريع الى الفرارة ، بطيء في الغارة ، لا توقى به الدماء ، ولا تمهر به النساء ، ولا يحلب في الإناء . ومن العرب من لا يركبه أبداً ولو بلغت به الحاجة والجهد .

الصوت مصدر :

وفي القرطبي : « لصوت الحمير اللام للتأكيد ووحد الصوت وإن كان مضافاً الى الجماعة لأنه مصدر والمصدر يدل على الكثرة وهو مصدر صات يصوت صوتاً فهو صائت ويقال صوّت تصويتاً فهو مصوت ورجل صات أي شديد الصوت بمعنى صائت » .

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ
عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ
وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ (٢٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ
نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ
السَّعِيرِ (٢١) ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ
بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٢٢) وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ۚ
إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٣)
نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٢٤)

اللغـــة :

(واسبغ) : وأتم ، يقال : أسبغ الله عليه النعمة أتمها وأسبغ الثوب : أوسعه وأطاله وأسبغ الرجـل لبس درعاً سابغـة وأسبغ له النفقة وسّع عليه وأنفق تمام ما يحتاج اليه، وفي المصباح: « وسَبَغت النعمة سبوغاً اتسعت وأسبغها الله أفاضها وأتمهـا وأسبغت الوضوء أتممته » وقرىء بالسين وبالصاد ، وهكذا كل سين اجتمع معه الغـين والخاء والقاف تقول في سلخ صلـخ وفي سقر صقر وفي سالغ صالغ ومعنى سالغ من سلغت البقرة والشاة إذا اسقطت السنّ التي خلفت السديس والسلوغ في ذوات الأظلاف بمنزلة البزول في ذوات الأحقاف.

(بالعروة الوثقى) : جاء في القاموس ما يلي : « العروة من الدلو والكوز المقبض ومن الثوب أخت زره كالعُري ويكسر ومن الفرج لحم ظاهره يعرض فيأخذ يمنة ويسرة مع أسفل البظر وفرج معرّى والجماعة من العضاة والحمض يرعى في الجدب والأسد والشجر الملتفّ تشتوفيه الإبل فتأكل منه أو مالا يسقط ورقه في الشتاء والنفيس من المال كالفرس الكريم وموالي البلد » وفي الاساس واللسان : « وتستعار العروة لما يوثق به ويعوّل عليه فيقال للمال النفيس والفرس الكريم : لفلان عروة ، وللابل عروة من الكلأ وعلقة : لبقية تبقى منه بعد هيج النبات تتعلق بها لأنها عصمة لها تراغم اليها وقد أُكل غيرها قال لبيد :

خلع الملوكَ وسار تحت لوائه شجر العُرا وعُراعر الاقوام

أي هم عِصَم للناس كالعِضاه التي تعتصم بها الاموال ، ويقال لقادة الجيش : العُرا ، والصحابة رضوان الله عليهم عرى الاسلام ، وقول ذي الرّمة :

كأن عُرا المرجان منها تعلّقت
على أمّ خشف من ظباء المشاقر

أزاد بالعرا : الأطواق ... والعروة من أسماء الأسد » .

الاعراب :

(أولم تروا أن الله سخر لكم مافي السموات ومافي الأرض) كلام مستأنف للرجوع الى ما سلف قبل قصة لقمان ووصيته من خطاب

المشركين • والهمزة للاستفهام الانكاري التوبيخي والواو عاطفة على ما تقدم من خطابهم ولم حرف نفي وقلب وجزم وتروا فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل والرؤية قلبية وأن ومافي حيزها سدت مسد مفعولي تروا وأن واسمها وجملة سخر خبرها ولكم متعلقان بسخر وما مفعول به وفي السموات متعلقان بمحذوف هو صلة ما ومافي الارض عطف على مافي السموات • (وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) وأسبغ عطف على سخر وعليكم متعلقان بأسبغ ونعمه مفعول به وظاهرة حال وباطنة عطف على ظاهرة وسيأتي معنى الظاهرة والباطنة في باب البلاغة • (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدىً ولا كتاب منير) الواو استئنافية ومن الناس خبر مقدم ومن مبتدأ مؤخر وجملة يجادل صلة من اذا كانت موصولة أو صفة لها إذا كانت نكرة تامة بمعنى ناس وفي الله متعلقان بيجادل أي في توحيده وصفاته وبغير علم حال ولا هـدى معطوفة ولا كتاب منير عطف على علم • (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا) الواو عاطفة واذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة قيل في محل جر باضافة الظرف اليها ولهم متعلقان بقيل وجملة اتبعوا مقول القول وما مفعول به وجملة أنزل الله صلة وجملة قالوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وبل حرف اضراب وعطف ونتبع فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر تقديره نحن وما مفعول به وجملة وجدنا صلة وعليه متعلقان بوجدنا أو بمحـذوف هو مفعول وجدنا الثاني وآباءنا هو مفعول وجدنا الاول أي وجدنا آباءنا عاكفين عليه •

(أو لو كان الشيطـان يدعوهم الى عـذاب السعير) الهمـزة للاستفهام الانكاري التوبيخي والواو فيها وجهان أحدهما أن تكون

عاطفة على محذوف وثانيهما انها حالية ، وعلى كل حال لا بد من تقدير محـــذوف معنـــاه : أيتبعونه ولو كان الشيطان يدعوهم ، ولو شرطية وجوابهـــا محذوف أي يدعوهم فيتبعون ومحـــل الجملة النصب على الحال ، وكان الشيطان كان واسمها وجملة يدعوهم خبرها والى عذاب السعير متعلقان بيدعوهم • (ومن يسلم وجهـــه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى) الواو عاطفة ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ويسلم فعل مضارع مجزوم لأنه فعل الشرط وفاعله مستتر تقديره هو ووجهه مفعول به والى الله متعلقان بيسلم ويسلم يتعدى باللام ولكنه عـــدي هنا بإلى ليكون معناه أنه سلم نفسه كما يسلم المتاع الى الرجـــل إذا دفع اليه والمراد التوكل عليه والتفويض اليه ، والواو واو الحال وهو مبتدأ ومحسن خبر ، فقد الفاء رابطة للجواب وقد حرف تحقيق واستمسك فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو وبالعروة جار ومجرور متعلقان باستمسك والوثقى صفة للعروة والجملة في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من •

(وإلى الله عاقبة الامور) الى الله خبر مقدم وعاقبة الامور مبتدأ مؤخر • (ومن كفر فـــلا يحزنك كفره) الواو حرف عطف والجملة معطوفة على سابقتهـــا ولا ناهية ويحزنك فعـــل مضارع مجزوم بلا والجملة في محـــل جزم جواب الشرط • (إلينا مرجعهـــم فننبئهم بما عملوا إن الله عليم بذات الصدور) إلينا خبر مقـــدم ومرجعهم مبتدأ مؤخر فننبئهم الفاء عاطفة وننبئهم فعل مضارع وفاعل مستتر تقديره نحن ومفعول به وبمـــا متعلقـــان بننبئهـــم وجملة عملوا صلة ما وإن واسمها وعليم خبرها وبذات الصدور متعلقان بعليم • (نمتعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ) جملة نمتعهم يجوز أن تكون حالية من

فاعل نمتعهم وأن تكون مستأنفة وقليلاً ظرف أو صفة لمصدر محذوف أي زماناً قليلاً أو متاعاً قليلاً ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي ونضطرهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به والى عذاب متعلقان بنضطرهم وغليظ صفة لعذاب •

البلاغة :

١ ــ الطباق :

في قوله « وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة » طباق وقد مرّ بحثه ، والمراد بالنعم الظاهرة كل ما يعلم بالمشاهدة ، والباطنة مالا يعلم إلا بدليل ، وجميل قوله صلى الله عليه وسلم لابن عباس وقد سأله عن هذه الآية : « الظاهرة الاسلام وما حسن من خلقك والباطنة ما ستر عليك من سيىء عملك » وقد أفاض المفسرون فيها مما يرجع اليه في المطولات •

٢ ــ الاستعارة التمثيلية :

وذلك في قوله « فقد استمسك بالعروة الوثقى » فقد مثلت حال المتوكل بحال من أراد أن يتدلى من جبل شاهق فاحتاط لنفسه بأن استمسك بأوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه وقيل هو تشبيه تمثيلي لذكر طرف التشبيه •

٣ ــ الاستعارة المكنية :

وفي قوله « ثم نضطرهم الى عذاب غليظ » استعارة مكنية فقد شبه إلزامهم التعذيب وارهاقهم اياه باضطرار المضطر الى الشيء الذي

لا يقدر على الانفكاك منه أي يثقل عليهم ثقل الأجرام الغلاظ والغلظ مستعار من الأجرام الغليظة والمراد الشدة والثقل على المعذّب .

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ
لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ
ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ
يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾

الاعراب :

(ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولنّ الله) كلام مستأنف مسوق لبيان تناقضهم مع أنفسهم واعترافهم بما لا يسع المكابرين انكاره من دلائل التوحيد الساطعة . واللام موطئة للقسم وإن شرطية وسألتهم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وفاعل ومفعول به ومن اسم استفهام مبتدأ وجملة خلق السموات والارض في محل رفع خبر والجملة الاسمية في محل نصب مفعول به ثان لسألتهم واللام واقعة في جواب القسم ويقولن فعل مضارع حذفت منه نون الرفع لتوالي الأمثال وواو الضمير لالتقاء الساكنين والله خبر لمبتدأ محذوف أي هو الله أو مبتدأ حذف خبره أي الله خالقها . (قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) الحمد مبتدأ ولله خبر والجملة مقول قول والأمر للالزام لهم على قرارهم بأن الذي خلق السموات والارض هو

الله وحده وأنه يجب أن يكون الحمد والشكر مصروفين له وبل حرف اضراب انتقالي للتنبيه بأنهم إذا ألزموا بذلك لم يلتزموا به ولم ينتبهوا، وأكثرهم مبتدأ وجملة لا يعلمون خبر • (لله مافي السموات والارض إن الله هو الغني الحميد) لله خبر مقدم وما مبتدأ مؤخر وفي السموات والارض صلة وإن حرف مشبه بالفعل ولفظ الجلالة اسمها وهو ضمير فصل والغني خبرها الأول والحميد خبرها الثاني • (ولو أن مافي الأرض من شجرة أقلام) كلام مستأنف مسوق للتنبيه على أن معاني كلامه سبحانه لا تنفد ، ولو حرف شرط غير جازم وسيأتي مزيد بحث عنها في باب الفوائد وأن وما بعدها فاعل لفعل محذوف أي لو ثبت وأن واسمها وفي الأرض صلة ما ومن شجرة في موضع الحال من ضمير الاستقرار أو من ما وأقلام خبر أن •

(والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم) والبحر الواو حالية أو عاطفة والبحر مبتدأ خبره جملة يمده أو معطوف على موضع أن ومعمولها إذ هو مرفوع على الفاعلية كما تقدم وقرىء والبحر بالنصب عطف على اسم أن ، ويمده فعل مضارع ومفعول به مقدم ومن بعده حال وسبعة أبحر فاعل يمده وجملة ما نفدت جواب لو فلا محل لها وإن واسمها وعزيز خبرها الاول وحكيم خبرها الثاني •

الفوائد :

١ ـ تكلمنا فيما سبق عن « لو » ووعدناك بأن ننقل لك الخلاف الذي شجر بين النحاة والمعربين حول هذه الآية التي طال

حولها الجدل وسنقدم لك خلاصة لأقوالهم لتقف على ما يذهلك من براعة الاستنتاج ودقة المنطق •

قال الشيخ شهاب الدين القرافي : « قاعدة « لو » أنها إذا دخلت على ثبوتين كانا منفيين وعلى نفيين كانا ثبوتين وعلى نفي وثبوت فالنفي ثبوت والثبوت نفي ، تقول لو جاءني لأكرمته فهما ثبوتان فما جاءك ولا أكرمته ، ولو لم يستدن لم يطالب فهما نفيان وقد استدان وطولب، ولو لم يؤمن أريق دمه التقدير انه آمن ولم يرق دمه وبالعكس لو آمن لم يقتل ، وإذا تقررت هذه القاعدة فيلزم أن تكون كلمات الله قد نفدت وليس كذلك لأن « لو » دخلت على ثبوت أولاً ونفي آخراً فيكون الأول نفياً وهو كذلك فإن الشجرة ليست أقلاماً ويلزم أن يكون النفي الأخير ثبوتاً فتكون نفدت وليس كذلك ونظير هذه الآية قوله عليه الصلاة والسلام : « نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه » إذ يقتضي انه خاف وعصى مع الخوف وهو أقبح فيكون ذلك ذنباً لكن الحديث سبق وعادة الفضلاء الولوع بالحديث كثيراً ، أما الآية فقليل من يتفطن لها وقد ذكروا في الحديث وجوهاً وأما الآية فلم أر لأحد فيها شيئاً ويمكن تخريجها على ماقالوه في الحديث غير أنه ظهر لي جواب عن الحديث والآية جميعاً وسأذكره فيما بعد ، وقال ابن عصفور : « لو » في الحديث بمعنى « إن » لمطلق الربط وان لا يكون نفيها ثبوتاً ولا ثبوتها نفياً فيندفع الإشكال وقال الشيخ شمس الدين الخسروشاهي : إن « لو » في أصل اللغة لمطلق الربط وانما اشتهرت في العرف بانقلاب ثبوتها نفياً وبالعكس ، والحديث انما ورد بمعنى اللفظ في اللغة ، وقال الشيخ ابن عبد السلام : الشيء الواحد قد يكون له سبب واحد فينتفي عند انتفائه وقد يكون له

سببان لا يلزم من عدم أحدهما عدمه لأن السبب الثاني يخلف الأول كقولنا في زوج هو ابن عم لو لـم يكن زوجاً لورث أي بالتعصيب فانهما سببان لا يلزم من عـدم أحدهما عدم الآخر وكـذلك هاهنا إذ الناس في الغالب إنما لم يعصوا لأجل الخوف فإذا ذهب الخوف عصوا لاتحاد السبب في حقهم فأخبر صلى الله عليه وسلم أن صهيباً رضي الله عنه اجتمع له سببان يمنعانه من المعصية وهذا مدح جليل وكلام حسن، وأجاب غيرهم بأن الجواب محذوف تقديره لو لم يخف الله عصمه الله ، ويدلّ على ذلك قوله : لم يعصه ، وهذه الأجوبة تتأتى في الآية غـير الثالث فإن عدم نفاد كلمات الله تعالى وانها غـير متناهية أمر ثابت لها لذاتها وما بالذات لا يعلّل بالأسباب فتأمل ذلك . هذا كلام الفضلاء الذي اتصل بي .

ويتابع القرافي : والذي ظهر لي أن « لو » أصلها أن تستعمل للربط بين شيئين نحو ما تقـدم ثم أنها أيضاً تستعمـل لقطع الرابط فتكون جواباً لسؤال محقّق ومتوهم وقـع فيه ربط فتقطعـه أنت لاعتقادك بطلان ذلك الربط كما لو قال القائل لو لم يكن ذلك زوجاً لم يرث فتقول أنت : لو لم يكن زوجاً لم يحرم ، تريد أن ما ذكرته من الربط بين عـدم الزوجية وعدم الارث ليس بحق فمقصودك قطع ربط كلامه لا ربط كلامـه وتقول لو لم يكن زيداً عالماً لأكـرم أي لشجاعته جواباً لسؤال سائل يتوهمه أوسمعته يقول إنه إذا لم يكن عالماً لم يكرم فيربط بين عدم العلم وعدم الاكرام فتقطع أنت ذلك الربط وليس مقصودك أن تربط بين عدم العلم والاكرام لأن ذلك غير مناسب ولا من أغراض العقلاء ولا يتجه كلامك إلا الى عدم الربط ، فكذلك الحديث لما كان الغالب على الناس أن يرتبط عصيانهم بعدم خوف الله

تعالى وان ذلك في الأوهام قطع رسول الله صلى الله عليه وسلم هـذا الربط وقال لو لم يخف الله يعصه وكذلك لما كان الغالب أن الاشجار كلها إذا صارت أقلاماً والبحر الملح مع غيره يكتب به الجميع والوهم يقول ما يكتب بهذا شيء إلا نفد وما عساه أن يكون قطع الله هـذا الربط وقال ما نفـدت الخ ... وهـذا الجواب أصلح من الاجوبة المتقدمة لوجهين أحدهما شموله لهذين الموضعين وبعضها لم يشمل كما تقدم وثانيهما أن لو بمعنى خلاف الظاهر وما ذكرته من الجواب ليس مخالفاً لعرف أهل اللغة فانهم يستعملون ما ذكرته ولا يفهمون غـيره في تلك الموارد ونعم هـذا الجواب الواجب لذاته لصفات الله تعالى وكلماته والممكن القابل للتعليل كطاعة صهيب رضي الله عنه » انتهى كلام شهاب الدين .

أما ابن هشام فبعـد أن ذكر أن « لو » المستعملة عـلى خمسة أوجه قال : « الثاني انها تفيد امتناع الشرط وامتناع الجواب جميعاً وهذا هو القول الجاري عـلى ألسنة المعربين ونص عليه جماعـة من النحويين وهو باطل بمواضع كثيرة منها قوله تعالى : « ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا » « ولو أن مافي الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله » وقول عمر رضي الله عنه : نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه ، وبيانه أن كل شيء امتنع ثبت نقيضه فاذا امتنع « ما قام » ثبت « قام » وبالعكس ، وعلى هذا فيلزم على هذا القول في الآية الاولى ثبوت إيمانهم مع عـدم نزول الملائكة وتكليم الموتى لهم وحشر كل شيء عليهم وفي الثانية نفاد الكلمات مع عدم كون كل مافي الأرض من شجرة أقلاماً تكتب الكلمات وكون

البحر الاعظم بمنزلة الدواة وكون السبعة الأبحر مملوءة مداداً وهي تمد ذلك البحر ، ويلزم في الأثر ثبوت المعصية مع ثبوت الخوف وكل ذلك عكس المراد ، والثالث أنها تفيد امتناع الشرط خاصة ولا دلالة لها على امتناع الجواب ولا على ثبوته ولكنه إن كان مساوياً للشرط في العموم كما في قولك لو كانت الشمس طالعة كان النهار موجوداً ، لزم انتفاؤه لأنه يلزم من انتفاء السبب المساوي انتفاء مسببه وإن كان أعم كما في قولك : لو كانت الشمس طالعة كان الضوء موجوداً فلا يلزم انتفاؤه وانما يلزم انتفاء القدر المساوي منه للشرط وهذا قول المحققين » الى أن يقول :

« ويتلخص على هذا أن يقال إن « لو » تدل على ثلاثة أمور : عقد السببية والمسببية وكونهما في الماضي وامتناع السبب ثم تارة يعقل بين الجزأين ارتباط مناسب وتارة لا يعقل فالنوع الاول على ثلاثة أقسام :

ما يوجب فيه الشرع أو العقل انحصار مسببية الثاني في سببية الأول نحو قوله تعالى : « ولو شئنا لرفعناه بها » ونحو لو كانت الشمس طالعة كان النهار موجوداً ، وهذا يلزم فيه من امتناع الأول امتناع الثاني قطعاً . وما يوجب أحدهما فيه عدم الانحصار المذكور نحو : لو نام لانتقض وضوءه وهذا لا يلزم فيه من امتناع الأول امتناع الثاني كما قدمنا .

وما يجوز فيه العقل ذلك نحو : لو جاءني زيد أكرمته فإن العقل يجوز انحصار سبب الاكرام في المجيء ويرجحه أن ذلك هو الظاهر من ترتيب الثاني على الأول وأنه المتبادر الى الذهن واستصحاب الاصل وهذا النوع يدل فيه العقل على انتفاء المسبب المادي لانتفاء السبب

لا على الانتفاء مطلقاً ويدل الاستعمال والعرف على الانتفاء المطلق ، والنوع الثاني (وهو مالا يعقل فيه بين الجزأين ارتباط مناسب) قسمان : أحدهما ما يراد فيه تقرير الجواب وجد الشرط أو فقد ولكنه مع فقده أولى وذلك كالأثر المروي عن عمر في صهيب رضي الله عنهما : « نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه » فإنه يدل على تقرير عدم العصيان على كل حال وعلى انتفاء المعصية مع ثبوت الخوف أولى وانما لم تدل «لو » على انتفاء الجواب لأمرين :

أحدهما : أن دلالتها على ذلك انما هو من باب مفهوم المخالفة وفي هذا الأثر دل مفهوم الموافقة على عدم المعصية لأنه إذا انتفت المعصية عند عدم الخوف فعند الخوف أولى وإذا تعارض هذان المفهومان قدم مفهوم الموافقة .

الثاني : انه لما فقدت المناسبة انتفت العلّية فلم يجعل عدم الخوف علة عدم المعصية فعلمنا أن عدم المعصية معلل بأمر آخر وهو الحياء والمهابة والإجلال والإعظام وذلك مستمر مع الخوف فيكون عدم المعصية عند عدم الخوف مستنداً الى ذلك السبب وحده وعند الخوف مستنداً اليه فقط أو اليه والى الخوف معاً وعلى ذلك تتخرج آية « لقمان » السابقة لأن العقل يجزم بأن الكلمات إذا لم تنفد مع كثرة هذه الأمور فلأن لا تنفد مع قلتها وعدم بعضها أولى » .

هذا ومن نسب الأثر بهذا اللفظ الى النبي صلى الله عليه وسلم فقد وهم وإنما الوارد ما رواه أبو نعيم في الحلية أن النبي قال في سالم مولى أبي حذيفة أنه شديد الحب لله تعالى لو كان لا يخاف الله ما عصاه.

٢ ـ لماذا وحد الشجرة ؟ :

وقال الزمخشري : « فإن قلت لم قيل من شجرة على التوحيد دون اسم الجنس الذي هو شجر ؟ قلت : أريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لايبقى من جنس الشجر ولا واحدة إلا قد بريت أقلاماً » .

ووحد الشجرة لما تقرر في علم المعاني أن استغراق المفرد أشمل فكأنه قال كل شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجرة واحدة إلا وقد بريت أقلاماً وجمع الأقلام لقصد التكثير أي لو أن يعد كل شجرة من الشجر أقلاماً .

مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ
بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ
الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ
آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ
كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ
وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾

اللغــــة :

(كالظلل) : الظلل : جمع ظلة بضم الظاء كل ما أظلك من جبل أو سحاب أو شجر أو غيرها •

(ختار) : مبالغة من الختر وهو أشد الغدر ومنه قولهم : انك لا تمد لنا شبراً من الغدر إلا مددنا لك باعاً من ختر ، قال :

وانك لو رأيت أبا عمـــير ملأت يديك من غـــدر وختر

وقوله ملأت يديك من غدر وختر شبه المعقول بالمحسوس عـلى سبيل الاستعارة المكنية وملء اليدين تخييل ، وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً عدّ بأصابع يده اليمنى : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وبأصابع اليسرى : اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني واجبرني فقال رسول الله : ملأت يديك خيراً •

الاعراب :

(ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير) ما نافية وخلقكم مبتدأ ولا بعثكم عطف على خلقكم وإلا أداة حصر والكاف خبر خلق أو الجـار والمجرور خبر خلق ولا بد من تقـدير مضاف أي إلا كخلق نفس واحدة وما بعثكم إلا كبعث نفس واحدة ، والكلام مستأنف مسوق للرد على المتشككين الذين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم إن الله خلقنا أطواراً نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاماً ثم تقول إنا نبعث خلقاً جديداً جميعاً في ساعة واحدة ، وان واسمها وسميع

خبرها الأول وبصير خبرها الثاني • (ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) الهمزة للاستفهام الانكاري التقريري ولم حرف نفي وقلب وجزم وأن وما بعدها سدت مسد مفعولي تر وأن واسمها وجملة يولج الليل في النهار خبرها وجملة يولج النهار في الليل عطف عليها • (وسخر الشمس والقمر كلٌّ يجري الى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير) الواو عاطفة وسخر عطف على يولج وستأتي علة المخالفة في الصيغة في باب البلاغة والشمس مفعول سخر والقمر عطف على الشمس وكل مبتدأ وجملة يجري خبر والى أجل متعلقان بيجري ، وسيأتي سر هذا الحرف في باب البلاغة ، وان واسمها وبما تعملون متعلقان بخبير وخبير خبر إن • (ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل) ذلك مبتدأ وخبره بأن الله وأن اسمها وهو ضمير فصل أو مبتدأ والحق خبر أن أو خبر هو والجملة خبر أن وأن عطف على بأن وأن واسمها وجملة يدعون صلة ما ومن دونه حال والباطل خبر أن • (وأن الله هو العلي الكبير) عطف على ما تقدم •

(ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله) الهمزة للاستفهام الانكاري التقريري أيضاً ولم حرف نفي وقلب وجزم وتر فعل مضارع مجزوم بلم وأن وما بعدها في محل نصب مفعول تر وأن واسمها وجملة تجري في البحر خبرها وبنعمة الله حال أي مصحوبة بنعمته • (ليريكم من آياته إن في ذلك لآيات لكل صبّار شكور) اللام للتعليل ويريكم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام ومن آياته في محل نصب مفعول به ثان ليريكم وإن حرف مشبه بالفعل وفي ذلك خبر إن المقدم واللام المزحلقة وآيات اسم إن ولكل صفة لآيات وصبار مضاف لكل وشكور صفة لصبار • (وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا

الله مخلصين له الدين) الواو عاطفة وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة غشيهم في محل جر باضافة الظرف اليه وغشيهم فعل ماض ومفعول به وموج فاعل وكالظلل صفة لموج وجملة دعوا الله لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ومخلصين حال وله متعلقان بمخلصين والدين مفعول لمخلصين لأنه اسم فاعل • (فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد) الفاء عاطفة ولما حينية ظرفية أو رابطة ونجاهم فعل ماض ومفعول به وفاعل مستتر تقديره هو والى البر متعلقان بنجاهم والفاء تفريعية ومنهم خبر مقدم ومقتصد مبتدأ مؤخر أي متوسط في الكفر والظلم لأنه انزجر بعض الانزجار ، وقيل المقتصد المتوسط بين السابق بالخيرات والظالم لنفسه وفي الكلام إيجاز سيأتي في باب البلاغة • (وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور) الواو استئنافية وما نافية ويجحد فعل مضارع مرفوع وبآياتنا متعلقان بيجحد وإلا أداة حصر وكل فاعل وختار مضاف اليه وكفور صفة لختار •

البلاغة :

المخالفة في الصيغة وفي حرفي الجر :

في قوله « وسخر الشمس والقمر » مخالفة في الصيغة بين سخر المعطوف ويولج المعطوف عليه لأن إيلاج أحد الملوين في الآخر متجدد كل حين فعبر عنه بالصيغة المتجددة حيناً بعد حين وأما تسخير النيرين فهو أمر لا يتجدد ولا يتعدد بل هو ديمومة متصلة متتابعة فعبر عنه بالصيغة الماضية الكائنة •

وفي قوله : « إلى أجل غير مسمى » مخالفة بين حرف الجر « إلى » المستعمل هنا وحرف الجر « اللام » المستعمل في مكان آخر فليس هو من تعاقب الحرفين فالاول للانتهاء والثاني للاختصاص وكل واحد منهما واقع موقعه ملائم لصحة الغرض الذي هدف اليه ، لأن قولك يجري الى أجل مسمى معناه يبلغه وينتهي إليه وقولك يجري لأجل مسمى معناه يجري لإدراك أجل مسمى ، فما ينتهي هنا غاية ماينتهي اليه الخلق فناسب ذكر « الى » ، وما في فاطر والزمر ليس من هذا الوادي فناسب ذكر اللام وهذا من الدقائق البديعة فتأمل .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾

الاعراب :

(يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده) اتقوا ربكم فعل أمر وفاعل ومفعول به واخشوا عطف على اتقوا ويوماً مفعول به وجملة لا يجزي والد عن ولده صفة ليوماً . (ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً إن وعد الله حق) ولا مولود عطف على والد

وهو مبتدأ وجاز خبر وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين والجملة صفة ليوماً وشيئاً مفعول جازٍ أو يجزي فالمسألة من باب التنازع وإن وعد الله حق ان واسمها وخبرها • (فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) الفاء الفصيحة ولا ناهية وتغرنكم فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم بلا الناهية والحياة فاعل تغرنكم والكاف مفعوله والدنيا صفة للحياة ولا يغرنكم بالله الغرور عطف على ما تقدم مماثل له في اعرابه والغرور بفتح الغين كل ما يسبب الانخداع والافتتان • (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الأرحام) كلام مستأنف مسوق لتقرير تفرد الله بالاحاطة بالمغيبات ، وسبب نزولها ان الحارث بن عمرو بن حارثة أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أخبرني عن الساعة متى قيامها وإني قد ألقيت حياتي في الأرض وقد أبطأت عنا السماء فمتى تمطر ؟ وأخبرني عن امرأتي فقد اشتملت مافي بطنها أذكر أم أنثى ؟ وإني علمت ما علمت أمس فما أعمل غداً ؟ وهذا مولدي قد عرفته فأين أموت ؟ •

وان واسمها وعنده ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم وعلم الساعة مبتدأ مؤخر والجملة خبر إن وينزل الغيث عطف على عنده علم الساعة فهو بمثابة خبر ثان ويعلم مافي الأرحام عطف أيضاً • (وما تدري نفس ماذا تكسب غداً) الواو حرف عطف وما نافية وتدري فعل مضارع ونفس فاعله وماذا اسم استفهام مركب في محل نصب مفعول مقدم لتكسب وجملة تكسب سادة مسد مفعولي تدري المعلقة بالإستفهام وغداً ظرف متعلق بتكسب ويجوز أن تكون ما مبتدأ وذا اسم موصول في محل رفع خبر ، وقد تقدم القول في ماذا •

(وما تـدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير) الواو حرف عطف وما نافية وتدري فعل مضارع مرفوع ونفس فاعل وبأي أرض متعلق بتموت وهو معلق للدراية فالجملة في محل نصب والباء ظرفية بمعنى في أي في أي أرض وان واسمها وخبرها •

البلاغـة :

للضمائر شأن كبير في الفصاحة والبلاغة ولها تأثير في قوة الكلام وضعفه ، أو توكيده وعدم توكيده ، ومن ذلك قوله « ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً » فقد ورد الضمير بعد مولود ولم يرد بعد والد في قوله « لا يجزي والد عن ولده شيئاً » وذلك لسر يتجاوز الاعراب، وقد أجاب الامام الزمخشري بجواب في غاية الدقة ولكنه أغفل أمراً هاماً يرد عليه ، وفيما يلي نص قولُه :

« فإن قلت : قوله ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه ؟ قلت الأمر كذلك لأن الجملة الاسمية آكد من الفعلية وقد انضم الى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب في مجيئه على هذا السنن أن الخطاب للمؤمنين وعليتهم قبض آباؤهم على الكفر وعلى الدين الجاهلي فأريد حسم أطماعهم وأطماع الناس فيهم أن ينفعوا آباءهم في الآخرة وأن يشفعوا لهم وأن يغنوا عنهم من الله شيئاً فلذلك جيء به على الطريق الآكد » وواضح من هـذا التعليل الجميل أنه يتمشى على الموجودين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم أوأنه خاص بهم والصحيح أنه عام لهم ولكل من ينطبق عليهم اسم الناس فالأولى أن يقال في جواب السؤال ان الله تعالى

لما أكد الوصية على الآباء وقرن شكرهم بوجوب شكره عز وجل وأوجب على الولد أن يكفي والده ما يسوءه بحسب نهاية إمكانه وغاية طوقه قطع هنا وهم الوالد في أن يكون الولد في القيامة مظنة لأنه يجزيه حقه عليه ويكفيه مايلقاه من أهوال القيامة كما أوجب الله عليه في الدنيا ذلك في حقه ، ولما كان إجزاء الولد عن الوالد مظنة الوقوع وموطن الأمل لأن الله حضه عليه في الدنيا كان جديراً بتأكيد النفي لإزالة هذا الوهم وهذا غير وارد في حق الولد على الوالد وهذا من الحسن بمكان فتأمله .

سُورَةُ السَّجْدَة
مَكِّيَّة وَآيَاتُهَا ثَلَاثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾
أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۚ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن
قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي
سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ
أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ
فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾

الاعراب :

(ألم ، تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين) ألم خبر لمبتدأ محذوف وقد تقدم القول مفصلاً في ذلك وتنزيل الكتاب مبتدأ ولا نافية للجنس وريب اسمها وفيه خبرها والجملة حال من الكتاب ومن

رب العالمين خبر تنزيل وهناك أعاريب أخرى ضربنا صفحاً عنها وقد تقدم في أول البقرة ما يشبه هذا . (أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك) أم هي المنقطعة الكائنة بمعنى بل الاضرابية وهمزة الاستفهام الانكارية ويقولون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل وجملة افتراه مقول القول وافتراه فعل ومفعول به والفاعل مستتر تقديره هو يعود على محمد وبل اضراب ثان يفيد ابطال قولهم وهو مبتدأ والحق خبر ومن ربك حال . (لتنذر قوماً ما آتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون) اللام للتعليل وتنذر فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد لام التعليل وفاعل تنذر مستتر تقديره أنت وقوماً مفعول به أول والمفعول الثاني محذوف إذ التقدير لتنذر قوماً العقاب ، وما نافية وآتاهم فعل ومفعول به ومن حرف جر زائد والجملة صفة لقوماً ومن قبلك صفة لنذير ويجوز أن يتعلق بآتاهم وجملة ما آتاهم المنفية في محل نصب صفة لقوماً ويجوز العكس ، ومفعول تنذر الثاني محذوف أي لتنذر قوماً العقاب ، وجوز بعضهم أن تكون ما موصولة والتقدير لتنذر قوماً العقاب الذي أتاهم من نذير من قبلك ، ومن نذير متعلقان بأتاهم أي أتاهم على لسان نذير من قبلك وبواسطته فما مفعول به ثان وانذر يتعدى الى اثنين قال تعالى : « فقل أنذرتكم صاعقة » ولعل واسمها وجملة يهتدون خبرها وجملة الترجي حال من فاعل لتنذر أي لتنذرهم راجياً لاهتدائهم .

(الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام) الله مبتدأ والذي خبره وجملة خلق السموات والارض صلة وما عطف على السموات وبينهما ظرف متعلق بمحذوف صلة لما وفي ستة أيام متعلقان بخلق . (ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي

ولا شفيع أفلا تتذكرون) ثم حرف عطف وتراخ واستوى فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو يعود على الله وعلى العرش متعلقان باستوى وما نافية ولكم خبر مقدم ومن دونه حال لأنه كان في الاصل صفة لولي ومن حرف جر زائد وولي مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه مبتدأ مؤخر ولا شفيع عطف على ولي ، ويجوز أن تكون ما حجازية على رأي بعض النحاة ، والهمزة للاستفهام الانكاري والفاء عاطفة على مقدر يقتضيه السياق ولا نافية وتتذكرون فعل مضارع مرفوع والواو فاعله • (يدبر الأمر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) الجملة حالية والأمر مفعول يدبر ومن السماء متعلقان بيدبر والى الارض متعلقان بيدبر أيضاً ومن ابتدائية والى انتهائية ، ثم حرف عطف وتراخ ويعرج فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو أي الأمر أي يرجع اليه واليه متعلقان بيعرج وفي يوم حال من فاعل يعرج أي كائناً في يوم وجملة كان واسمها وخبرها صفة ليوم وسيأتي مزيد بيان لمعنى هذا الزمان في باب البلاغة، ومما صفة لألف سنة وجملة تعدون صلة •

البلاغة :

قال النحاس : اليوم في اللغة بمعنى الوقت ، فاندفع الإشكال الذي أورده بعضهم مع قوله تعالى في سورة سأل « خمسين ألف سنة » فالعرب تعبر عن مدة العصر باليوم ، ويوم القيامة فيه أيام متباينة الأوقات فمنها ما هو مقداره ألف سنة ومنها ما مقداره خمسون ألف سنة فالمراد من ذكر الألف والخمسين التنبيه على طوله والتخويف منه لا العدد بخصوصه ومن شواهد التعبير باليوم عن المدة قول الشاعر :

يومان : يوم مقامات وأندية ويوم سيرٍ الى الأعداء تأويب

ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ
شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ
مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ
وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ
أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ * قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم
مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾

الاعراب :

(ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم) ذلك مبتدأ والاشارة إلى الله الخالق المدبر وعالم الغيب والشهادة خبر أول والعزيز خبر ثان والرحيم خبر ثالث • (الذي أحسن كل شيء خلقه) يجوز في اسم الموصول أن يكون خبراً رابعاً أو نعتاً أو خبراً لمبتدأ مضمر وأن يكون منصوباً على المدح وجملة أحسن صلة وكل شيء مفعول به وخلقه فعل ماض ومفعول به والفاعل ضمير مستتر تقديره يعود على الله وجملة خلقه صفة لشيء في محل جر أو صفة لكل فهي في محل نصب وقرىء خلْقه بسكون اللام فيكون بدل اشتمال من كل شيء والضمير عائد على كل شيء • (وبدأ خلق الانسان من طين) وبدأ عطف على أحسن وخلق الانسان مفعول به ومن طين متعلقان بخلق والمراد بالانسان آدم. (ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين) ثم حرف عطف للترتيب مع

التراخي وجعل نسله فعل وفاعل مستتر يعود على الله ومفعول به ومن سلالة متعلقان بجعل أو في محل نصب على أنه مفعول ثان ، وسميت الذرية نسلاً لأنها تنسل منه كما سميت النطفة سلالة لأنها تسل منه ، وفي الصحاح : النجل : النسل ونجله أبوه أي ولده فالولد سليل ونجل ، ومن ماء صفة لسلالة ومهين صفة لماء وهي النطفة الضعيفة . (ثم سوّاه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون) ثم حرف ترتيب وتراخ وسواه فعل وفاعل مستتر ومفعول به والمراد بالتسوية تقويمه في أحسن تقويم ونفخ عطف على سواه وفيه متعلقان بنفخ ومن روحه متعلقان بنفخ أيضاً وجعل عطف ولكم متعلقان بجعل والسمع مفعول به والأبصار والأفئدة معطوفان على السمع وقليلاً مفعول مطلق وما زائدة مؤكدة للقلة وتشكرون فعل مضارع مرفوع ، ويجوز أن يعرب قليلاً ظرف زمان فعلى الأول يكون التقدير شكراً قليلاً وعلى الثاني زماناً قليلاً .

(وقالوا أإذا ضللنا في الأرض أإنا لفي خلق جديد) كلام مستأنف مسوق لبيان ضروب من أباطيلهم وسيأتي سر الالتفات في باب البلاغة والهمزة للاستفهام الانكاري واذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بمحذوف تقديره نبعث وهو جواب إذا أو نخرج بدلالة خلق جديد عليه وجملة ضللنا في محل جر بإضافة الظرف إليها ، وفي الأرض متعلقان بضللنا والهمزة للاستفهام الانكاري أيضاً وان واسمها واللام المزحلقة وفي خلق خبرها وجديد صفة لخلق . (بل هم بلقاء ربهم كافرون) اضراب انتقالي من بيان كفرهم بالبعث إلى ما هو أطم وأدل على سوء ما هم مترددون فيه ، وهم مبتدأ وبلقاء ربهم متعلقان بكافرون وكافرون خبر هم . (قل يتوفّاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون) يتوفاكم فعل مضارع والكاف مفعول به

مقدم وملك الموت فاعل والذي نعت لملك الموت وجملة وكل بكم صلة ، ثم حرف عطف وتراخ والى ربكم متعلقان بترجعون وترجعون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل .

الفوائد :

التفعل والاستفعال :

قال الزمخشري : « والتوفي استيفاء النفس وهي الروح قال الله تعالى : « الله يتوفي الأنفس » ومعلوم أن التفعل والاستفعال يلتقيان في مثل تقضيته واستقضيته وتعجلته واستعجلته » وللتفعل معان أخرى ندرجها فيما يلي :

١ - مطاوعة الرباعي المضعف نحو نبّهته فتنبّه وجمعته فتجمّع .

٢ - التكلف نحو تصبّر وتكرّم أي تكلّف الصبر والكرم .

٣ - الاتخاذ نحو توسّد ذراعه أي اتخذه وسادة وتورّك البعير أي اتخذ وركه مطية .

٤ - التجنّب نحو تأثّم أي تجنب الإثم وتهجّد أي تجنب الهجود وهو النوم .

٥ - التدريج نحو تحفّظت الدرس أي حفظته قسماً بعد قسم وتجرعت الدواء أي أخذته جرعة بعد جرعة .

وأشهر معاني الاستفعال ما يأتي :

١ - الطلب نحو استقدمت فلاناً أي طلبت قدومه واستخرجت حل المسألة أي حصلت عليه بعد طلب .

٢ـ الصيرورة نحو استحجر أي صار حجراً واستنوق الجمل أي صار كالناقة واسترجلت المرأة أي صارت كالرجل •

٣ـ النسبة نحو استصوبت رأيه أي نسبت اليه الصواب واستقبحت فعله أي نسبت اليه القبح •

٤ـ اختصار اللفظ نحو استرجع القوم أي قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون •

٥ـ القوة نحو استهتر أي اشتد هتاره واستكبر أي قوي كبره •

وقد تأتي هذه الصيغة بمعنى أفعل نحو استجاب وأجاب وقد تكون مطاوعاً له نحو أحكمت البناء فاستحكم وأقمت اعوجاجة فاستقام •

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا
فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا
وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟
بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ
رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ ۩ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ
خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن
قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾

اللغـــة :

(تتجافى) : تجافى : تنحى ولم يلزم مكانه يقال تجافى السرج عن ظهر الفرس وتجافى جنبه عن الفراش وقال في الاساس : « جفاني فلان : فعل بي ما ساءني واستجفيته ، والأدب صناعة مجفوّ أهلها ، وجفت المرأة ولدها فلم تتعاهده ، وثوب جاف : غليظ وقد جفا ثوبه ، وهو من جفاة العرب ، وجفا السرج عن ظهر الفرس ، وجنب النائم عن الفراش وتجافى « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » وأجفاه صاحبه وجافاه ، قال :

وتشتكي لو أننا نشكيها غمزَ حوايا قلّما تجفيها

ومن المجاز : أصابته جفوة الزمان وجفاوته • وللجيم مع الفاء خاصة الانكماش والجفاف يقال جف يجف من باب تعب جفافاً وجفوفاً : يبس ونشف والانكماش واضح في هذا المعنى ، واجتف مافي الاناء : أتى عليه ، وجفأ يجفأ من باب فتح النهر رمى بالزبد والقذى وجفجف الابل : ساقها بشدة حتى ركب بعضها بعضاً أي انكمش بعضها على بعض ، وجفخ تكبر والمتكبر منكمش عن الناس ترفعاً وتيهاً منه ، وجفل القوم وأجفلوا هربوا مسرعين ووقعت في الناس جفلة إذا خافوا فانجفلوا وليس مثل الخائف في الانكماش والاسراع، وجفن الناقة : نحرها وأطعم لحمها في الجفان وجفن نفسه كفها عن الخبائث وتجفن الكرم صار له آصل والجفنة بفتح الجيم القصعة الكبيرة والخمرة والبئر الصغيرة فما تطلقه العامة على جفنة الكرم له أصل صحيح •

الاعراب :

(ولــو ترى إذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهــم) كلام مستأنف مسوق لاستحضار صورة المجرمين عامة يوم القيامة والخطاب لمحمد صــلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ممن يصلــح له ولتجسيد الفظاعة التي حلت بهم • ولو شرطية وترى فعل مضارع فاعله مستتر تقديره أنت وإذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بترى وانما جاز ذلك لترقب وقوعه وتحققه نحو أتى أمر الله ، وجعله أبو البقاء مما وقعت فيه إذ موقع إذا ، والمجرمون مبتــدأ وناكسو رءوسهم خبر وسيأتي سر التعبير بالجملة الاسمية في باب البلاغة وعند ربهــم ظرف متعلق بمحذوف حال ومفعول ترى محذوف لأن الرؤية بصرية أي لو ترى المجرمين ، وقد أغنى عن ذكره المبتدأ ، وجواب لو محذوف أي لرأيت أمراً فظيعاً لا يمكن وصفه ، وأجاز الزمخشري أن تكون لو للتمني والمضي فيها وفي إذ لأن الثابت في علــم الله بمثابة الواقع ، وناكسو رءوسهم اسم فاعل مضاف الى مفعوله • (ربنا أبصرنا وسمعنا فأرجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون) الكلام مقول قول محذوف في موضع الحال أي قائلين وربنا منادى مضاف حذف منه حرف النداء وأبصرنا فعــل وفاعل والمفعول محذوف أي أبصرنا صدق وعــدك ووعيدك وسمعنا منك تصديق رسلك ، وسمعنا عطف عــلى أبصرنا ويجوز عدم تقدير مفعول أي صرنا ممن يبصر ويسمع وكنا من قبــل صماً وعمياناً وهو جميل ، فأرجعنا الفاء الفصيحة وارجعنا فعل أمر المقصود منه الدعــاء ومفعول به ونعمل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب وصالحاً مفعول به أو مفعول مطلق وان واسمها وخبرها •

(ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) الواو عاطفة ولو شرطية وشئنا فعل وفاعل ولآتينا اللام واقعة في جواب لو وآتينا فعل وفاعل وكل نفس مفعول آتينا الاول وهداها مفعول آتينا الثاني • (ولكن حق القول مني لأملأنّ جهنم من الجنة والناس أجمعين) الواو حالية ولكن مخففة مهملة فهي لمجرد الاستدراك وحق القول فعل وفاعل ومني حال ولأملأنّ اللام موطئة للقسم وأملأن فعل مضارع مبني على الفتح والفاعل مستتر تقديره أنا وجهنم مفعول به ومن الجنة متعلقان بأملأن والناس عطف على الجنة وقدم الجن لأن المقام مقام تحقير لهم وأجمعين تأكيد وسيأتي القول في معنى أجمعين هنا في باب الفوائد • (فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا) الفاء الفصيحة أي إن نسيتم هذا كله فذوقوا ، وذوقوا فعل أمر وفاعله وبما الباء حرف جر للسببية وما مصدرية والمصدر الاول مجرور بالباء والجار والمجرور متعلقان بذوقوا ومفعول ذوقوا محذوف تقديره العذاب ولقاء يومكم مفعول نسيتم وهذا صفة ليومكم أي المشار اليه • (إنا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون) كلام مستأنف لزيادة إيلامهم ومقابلة نسيانهم اللقاء بنسيان أمضى وأنكى ، وان واسمها وجملة نسيناكم خبرها وذوقوا فعل أمر والواو فاعل والجملة مقول قول محذوف أي وتقول ذوقوا وعذاب الخلد مفعول ذوقوا ، وكرر الذوق مع مفعوله للتأكيد وتبيين المفعول المطوي للذوق ، وبما جار ومجرور متعلقان بذوقوا وقدمر قريباً وكنتم كان واسمها وجملة تعملون خبرها • (إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجداً) كلام مستأنف مسوق لبيان الذين إذا قرىء عليهم القرآن خروا سجداً وإنما كافة ومكفوفة ويؤمن فعل مضارع مرفوع وبآياتنا متعلقان به

والذين فاعل وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة ذكروا في محل جر بإضافة الظرف اليهـا والواو نائب فاعـل وبها متعلقان بذكروا وجملة خروا جواب إذا وسجداً حال من فاعل خروا •

(وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون) وسبحوا عطف على خروا وبحمد ربهم حال والواو حالية وهم مبتدأ وجملة لا يستكبرون خبر والجملة في محل نصب على الحال• (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) الجملة مستأنفة أو حالية أيضاً وجنوبهم فاعل وعن المضاجع متعلقان بتتجافى • (يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون) جملة يدعون إما مستأنفة وإما حالية أيضاً ويدعون ربهم فعل مضارع وفاعل ومفعول به وخوفاً وطمعاً إما مفعول من أجله وإما حالان وإما مصدران لفعـل محذوف ومما متعلقـان بينفقون وجملة رزقناهـم صلة ما • (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) يجوز أن تكون الفاء عاطفة أي تتجافى جنوبهم ويدعون ربهم فلا ، ويجوز أن تكون فصيحة أي إن حاول أحد أن يعلم مصيرهم وما أعد الله لهم من قرة أعين فلا يعلم • ولا نافية وتعلم نفس فعـل مضارع وفاعـل وما اسم موصول مفعول تعلم أي لا تعلـم الذي أخفاه الله ويجوز أن تكون استفهامية في محل رفع مبتدأ وأخفي لهم خبره وعلى قراءة أخفي بسكون الياء تكون ما مفعول أخفي لأنه فعـل مضارع وفاعله أنا وتكون ما الاستفهامية معلقـة لتعلم ولهم متعلقان بأخفي ومن قرة أعين حـال من ما وجزاء مفعول مطلق لفعل محـذوف أي جوزوا جزاء أو مفعول لأجله أي أخفي لهم لأجل جزائهم وبما متعلقان بجزاء وكان واسمها وجملة يعملون خبرها •

البلاغــة :

العدول عن الفعلية الى الاسمية :

في قوله « ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رءوسهم » عدول عن الجملة الفعلية الى الجملة الاسمية لتقرير ثباتهم عـلى نكس رءوسهم خجلاً وحياءً وخزياً عنـدما تبدو مثالبهم وهناتهـم بصورة دميمة شوهاء تبعث على الهزء بهم والسخرية منهم كأنما استمر ذلك منهم ، لا يرتفع لهم رأس ، ولا يمتد منهم طرف .

وكــذلك عــدل عن الفعلية الى الاسمية المؤكــدة في قولــه « إنا موقنون » أي انهم ثابتون على الايقان راغبون فيه بعد أن ظهرت لهم المغاب منادية عليهم بالويل والثبور .

الفوائــد :

التوكيد بأجمعين :

يجوز إذا أريد تقوية التوكيد أن يتبع كله بأجمع وكلها بجمعاء وكلهم بأجمعين وكلهن بجمع فتقول جاء الجنس كله أجمع والقبيلة كلها جمعاء والقوم كلهم أجمعون والنساء كلهن جمــع ، وقد يؤكد بهن وإن لم يتقدم كل نحو الآية المتقدمة وقوله « لأغوينهم أجمعين » .

أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ

فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾

الاعراب :

(أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لايستوون) الهمزة للاستفهام الانكاري والفاء عاطفة على محذوف يقتضيه السياق ومن مبتدأ وجملة كان صلة واسمها مستتر تقديره هو ومؤمناً خبرها وكمن خبر من وجملة كان صلة من الثانية وفاسقاً خبر كان وجملة لا يستوون مستأنفة لا موضع لها من الاعراب ويستوون فعل مضارع مرفوع وفاعل ومتعلقه محذوف أي في المآل ، وروي أنه صلى الله عليه وسلم كان يتعمّد الوقف على قوله فاسقاً ثم يبتدىء بقوله لا يستوون . قال الزجاج : جعل الاثنين جماعة حيث قال : لا يستوون ، لأجل معنى من ، وقيل لكون الاثنين أقل الجمع . (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلاً بما كانوا يعملون) أما حرف شرط وتفصيل والذين مبتدأ وجملة آمنوا صلة وجملة عملوا الصالحات معطوفة على الصلة داخلة في حيزها فلهم الفاء رابطة ولهم خبر مقدم وجنات المأوى مبتدأ مؤخر ، والمأوى المكان تلجأ إليه ويقال المأواة والمأوي ، ونزلاً حال من جنات المأوى أي حالة كونها مهيأة ومعدة

لهم ، والنزل بضمتين عطاء النازل ثم صار عاماً فاستعماله بمعنى الفندق لا غبار عليه بل لعله أولى بالنسبة للفنادق الرفيعة لأن الفندق كقنفذ هو الخان كما في القاموس ويقال فيه الفنتق ، قال ابن عباد هو خان السبيل لغة في الفنــدق وأنكره الخفاجي في شفاء الغليل قال شارح القاموس : « وهو ــ أي كلام الخفاجي ــ غير متجه فقد قال الفراء سمعت أعرابياً من قضاعة يقول فتق للفندق وهو الخان » ، وبما صفة لنزلاً وما مصدرية أو موصولية وكان واسمها وجملة يعملون خبرها . (وأما الذين فسقوا فمأواهم النار) الواو عاطفة وأما شرطية تفصيلية كما تقدم والغالب تكريرها وسيرد في باب الفوائد إلماع اليها والذين مبتدأ وفسقوا صلة والفاء رابطة ومأواهم النار ابتداء وخبر والجملة خبر الذين .

(كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيــدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون) كلما ظرف زمان متضمن معنى الشرط وقد تقدم القول في كلما كثيراً وأرادوا فعــل وفاعل والجملة مستأنفة لبيان كيفية مأواهم فيها وأن ومافي حيزها مفعول أرادوا ومنها متعلقان بيخرجوا وجملة أعيدوا لا محل لها وفيها متعلقان بأعيدوا وقيل عطف على أعيدوا والواو نائب فاعل ولهم متعلقان بقيل وجملة ذوقوا عذاب النار مقول القول والذي صفة للعذاب وجملة كنتم صلة وبه متعلقان بتكــذبون وجملة تكذبون خبر كنتم . (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العــذاب الأكبر لعلهم يرجعون) الواو عاطفــة واللام موطئة للقسم ونذيقنهم فعــل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والفاعــل مستتر تقديره نحن والهاء مفعول به ومن العذاب جار ومجرور متعلقان بنذيقنهم والأدنى صفة للعــذاب

والمراد بالأدنى عذاب الـدنيا وما يستهدفون له من محن ونكبات ، ودون ظرف زمان بمعنى قبل متعلق بمحذوف حال والعذاب مضاف إليه والأكبر نعت والمراد بالأكبر عذاب الآخرة ولعل واسمها وخبرها وجملة الترجي حالية والمراد بها ترجي المخاطبـين كما قال سيبويه في تفسيرها • (ومن أظلـم ممن ذكر بآيات ربـه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون) كلام مستأنف مسوق لبيان حال من قابل النعمة بالإعراض والإشاحة عنها ومن اسم استفهام معناه النفي مبتدأ وأظلم خبر وممن متعلقان بأظلم وجملة ذكر صلة لمن وبآيات ربه متعلقـان بذكر وثم حرف عطف وتراخ وأعرض عطف على ذكر وعنها متعلقان بأعرض وسيأتي معنى التراخي في باب البلاغـة وإنا ان واسمها ومن المجرمين متعلقان بمنتقمون ومنتقمون خبر إن •

البلاغـة :

١ ـ ذكرنا فيما سبق أن لحروف العطف أسراراً لا يدركها إلا المبين ، فلا يصح وضع بعضها موضع بعض للفوارق بينهـا ، وكلمة « ثم » خاصة بالاستبعاد والتطاول في المدة وقد ناسب ذكرها في قوله « ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها » لأن الإعراض عن الآيات مع غاية وضوحها وإشراقهـا مستبعد في حكم البدائه الثابتة وموازين العقول الراجحة • وقـد رمق الشعراء سماء هـذه البلاغة فقال جعفر بن علبة الحارثي فيما يرويه ديوان الحماسة :

ولا يكشف الغمّـــاء إلا ابن حرّة

يرى غمـرات المـوت ثم يزورهـا

نقاسمهم أسيافنا شر قسمة
ففينا غواشيها وفيهم صدورها

فقدشبه الداهيةالغماء بأمرمحسوس يغشي الناس ويغطيهم على طريق الاستعارة المكنية ، وقال ابن حرة ليكون حفزاً للسامع وتهييجاً له على خوض الهيجاء وغمرات الموت شدائده وأهواله ، والشاهد في قوله ثم يزورها استبعد أن يزور غمرات الموت بعد أن رآها واستيقنها لأن بين رؤية الأهوال المفزعة وبين الانحدار اليها برغبة تشبه الرغبة في لقاء المحبوب بوناً بعيداً في العادة والعقل ، وشبه السيوف ممتدة متوسطة بينهم بشيء تجري فيه المقاسمة على طريق الاستعارة المكنية ثم فرع على تلك المقاسمة أن لهم غواشيها أي ما يغشاهم منها وهي مقابضها أو لأنها زائدة على النصل فهي غاشية له ولأعدائه صدورها أي أطرافها المتقدمة منها وصدر كل شيء مقدمه ، وعبر بفي دون اللام لأن « في » تفيد مجرد اشتمال الاعداء على الصدور لدخولها في أجسامهم واللام تفيد التملك وليس مراداً وإن كان مقتضى القسمة فلعله دفع توهمه بالعدول الى « في » وذكرها أولاً تمهيداً للثانية .

٢ ــ في قوله « وأما الذين فسقوا فمأواهم النار » الآية ، فن من فنون البديع لم يذكره أحد من الذين كتبوا في فنون البديع ما عدا ابن أبي الإصبع وهو الشماتة ، وهو ذكر ما أصاب عدوك من آفات ومحن جزاء ما اقترفت يداه مع المبالغة في تصوير غمائه وما يتخبط به من أهوال وإظهار اغتباطك بما أصابه شماتة به وتشفياً منه ، وفي هذه الآية من ضروب التشفي والشماتة مالا يخفى ، وهو شائع في القرآن وفي الشعر ومنه قصيدة « فتح الفتوح » لأبي تمام .

الفوائـد :

عود على أمّا :

(أمّا) بفتح الهمزة وتشديد الميم حرف شرط وتوكيد وتفصيل غالباً ويدل على معنى الشرط مجيء الفاء بعدها غالباً ، ويدل على معنى التفصيل استقراء مواقعها وعطف مثلها عليها ، ولا بد لها من فاء تالية لتاليها إلا ان دخلت الفاء على قول قد طرح استغناء عنه بالمقول فيجب حذفها منه .

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ وَجَعَلْنَـٰهُ
هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟
وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ
فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ
ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾
أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ
مِنْهُ أَنْعَـٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن
كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَـٰنُهُمْ وَلَا
هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

اللغــة :

(الجرز) : يقال : جرزه الزمان : اجتاحه ، قال تبع :

لا تسقــني بيديك إن لــم ألقهــا
جــرزاً كأن أشاءهـــا مجــروز

وأرض مجروزة وقـد جُرزت : قطـع نباتهـا وأرض جُرُز وأرضون أجراز وسنون أجراز : جدبة ومفازة مِجْراز . قال الراعي :

وغبـراء مجـراز يبيـت دليلهـا
مشيحاً عليهـا للفراقـد راعيـا

وسيف جُرَاز و « لن ترضـى شانئة إلا بجَرْزة » مثـل في العداوة وأن المبغض لا يرضى إلا باستئصال من يبغضه وضربه بالجُرْز وخرجوا بأيديهم الجرْزة وجاء بجُرْزة من قت وبجُرَز منه وهي الحزمة والعامة تستعمل هذه الكلمة كثيراً ولا غبار عليها كما ترى ، ومن المجاز رجل جَرُوز : أكول لا يدع عـلى المائدة شيئاً ، وامرأة جارز : عاقر . وفي المختار : « أرض جُرُز وجُرْز كعسر لا نبات بها » أي قطع وأزيل بالمرة وقيـل هو اسم موضـع باليمن ، وفي المصباح : « الجرزة : القبضة من القت ونحوه أو الحزمة والجمـع جرز كغرفة وغرف وأرض جرز بضمتـين قد انقطـع المــاء عنها فهي يابسة لا نبات فيها .

الاعراب :

(ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه) كلام مستأنف مسوق لتسليته صلى الله عليه وسلم وانما اختار موسى لأن اليهود والنصارى كانوا مؤمنين به فتمسك بالمجمع عليه ليكون ألزم لإيقاع الحجة عليهم • واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وآتينا فعل وفاعل وموسى مفعول به أول لآيتنا والكتاب مفعول به ثان والفاء الفصيحة ولا ناهية وتكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلا واسمها ضمير مستتر تقديره أنت وفي مرية خبرها أي شك ومن لقائه صفة لمرية والضمير في لقائه يعود على موسى فيكون المصدر وهو لقاء مضافاً الى مفعوله أو على الكتاب وحينئذ تكون الاضافة للفاعل أي من لقاء الكتاب لموسى ، وهناك أقوال كثيرة في عودة الضمير ضربنا عنها صفحاً لتهافتها • (وجعلناه هدى لبني إسرائيل) وجعلناه فعل وفاعل ومفعول به والضمير يعود على موسى والكتاب أيضاً وهدى مفعول به ثان ولبني إسرائيل متعلقان بهدى أو صفة له • (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) وجعلنا عطف على جعلنا الأول ومنهم مفعول جعلنا الثاني وأئمة مفعول جعلنا الأول وجملة يهدون صفة لأئمة وبأمرنا حال ولما ظرف بمعنى حين متعلق بجعلنا أي جعلناهم أئمة حين صبروا وجواب لما محذوف دل عليه ما قبله والتقدير ولما صبروا جعلنا منهم أئمة وكانوا عطف على صبروا وبآياتنا متعلقان بيوقنون ويوقنون خبر كانوا (إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) إن واسمها وهو ضمير فصل أو مبتدأ وجملة يفصل خبر إن أو خبر هو والجملة خبر إن وبينهم ظرف متعلق بيفصل ويوم القيامة متعلق بمحذوف حال

وفيما متعلقان بيفصل وجملة كانوا صلة وفيه متعلقان بيختلفون وجملة يختلفون خبر كانوا •

(أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم) الهمزة للاستفهام الانكاري والواو للعطف على مقدر يقتضيه السياق أي أغفلوا ولم يهد لهم أي يتبين ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ويهد فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف حرف العلة والفاعل ما دل عليه « لم يهد » لأن كم لا تقع فاعلة والتقدير أولم يهد لهم كثرة إهلاكنا القرون ، ولك أن تقدره بهذا الكلام ، وكم خبرية في محل نصب مفعول به مقدم لأهلكنا ومن قبلهم حال من القرون ومن القرون حال أيضاً من كم وجملة يمشون إما أن تكون استئنافية مسوقة لبيان وجه هدايتهم وإما أن تكون حالاً من الضمير في لهم والتقدير يمشون أي يمرون في أسفارهم للتجارة على ديارهم وبلادهم ويشاهدون آثار هلاكهم وفي مساكنهم متعلقان بيمشون • (إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون) إن حرف مشبه بالفعل وفي ذلك خبرها المقدم واللام المزحلقة وآيات اسم إن المؤخر والهمزة للاستفهام الانكاري والفاء عاطفة على مقدر يقتضيه أسلوب الحديث أي أصموا فلا يسمعون ولا نافية ويسمعون فعل مضارع مرفوع • (أو لم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز) الهمزة للاستفهام الانكاري والواو عاطفة على مقدر أيضاً ولم حرف نفي وقلب وجزم ويروا فعل مضارع مجزوم بلم والواو فاعل وأن ومافي حيزها سدت مسد مفعول يروا وان واسمها وجملة نسوق خبرها والماء مفعول به والى الارض متعلقان بنسوق والجرز نعت للأرض •

(فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون) فنخرج عطف على نسوق وفاعل نخرج ضمير مستتر تقديره نحن وبه متعلقان بنخرج وزرعاً مفعول به وجملة تأكل صفة لزرعاً ومنه متعلقان بتأكل وأنعامهم فاعل تأكل وأنفسهم عطف على أنعامهم والهمزة للاستفهام الانكاري ، فلا يبصرون تقدم إعراب نظيره • (ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين) كلام مستأنف مسوق للرد على استهزائهم فقد كانوا يسخرون من المسلمين الذين يقولون إن الله سيفتح لنا على المشركين ويفصل بيننا وبينهم فيقولون متى هذا الفتح ؟ ومتى اسم استفهام في محل نصب على الظرفية الزمانية وهو متعلق بمحذوف خبر مقدم وهذا مبتدأ مؤخر والفتح بدل من اسم الاشارة وإن شرطية وكنتم كان واسمها في محل جزم فعل الشرط وصادقين خبر كان وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله • (قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون) يوم الفتح مبتدأ وجملة لا ينفع خبره والذين كفروا مفعول ينفع المقدم وإيمانهم فاعل ينفع المؤخر والواو عاطفة وهم مبتدأ وجملة ينظرون خبر وينظرون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل أي يمهلون • (فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون) الفاء الفصيحة وأعرض فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وعنهم متعلقان بأعرض وانتظر فعل أمر وفاعل مستتر تقديره أنت ومفعوله محذوف تقديره النصر عليهم وإن واسمها ومنتظرون خبرها ومفعول منتظرون الذي هو اسم فاعل محذوف أيضاً تقديره النصر عليكم •

البلاغـة :

في قوله تعـالى « أولم يهد لهم كـم أهلكنا من قبلهم » الآية ، فن المناسبة • والمناسبة قسمان : إما مناسبة في المعاني وإما مناسبة في الألفاظ ، أما الأولى فهي أن يبتدىء المتكلم بمعنى ثم يتمم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ وقد مرت أمثلته في الأنعام والقصص وهـذه الآية ، فقد قال تعالى في صدرها أولم يهـد لهم وهي موعظـة سمعية لكونهم لم ينظروا الى القرون الهالكة وإنما سمعوا بها فناسب أن يأتي بعدها بقوله « أفـلا يسمعون » أما بعد الموعظـة المرئية وهي قوله « أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز » فقد ناسب أن يقول « أفلا يبصرون » لأن الزرع مرئي لا مسموع ليناسب آخر كل كلام أوله ، وأما المناسبة اللفظية فهي الاتيان بألفاظ متزنات مقفاة وغـير مقفاة ، فالمقفاة مع الاتزان مناسبة تامة وغير المقفاة مع الاتزان مناسبة ناقصة وشيوع هـذه في الكلام الفصيح أكثر لعـدم التكلف ولأن التقفية غير لازمة فيها فإن وقعت مندرجة في الكلام من غير تكلف ساغت وكانت آية في الجمال وستأتي أمثلتها في القرآن الكريم وسبق مثالها في قوله في يونس : « لهم شراب من حميم وعذاب أليم » ومن شواهد التامة في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه من الدعاء مما كان يرقي به الحسن والحسين« أعيذكما بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عـين لامّة » ولم يقـل ملمة وهي القياس لمكـان المناسبة ، ومما ورد من المناسبة اللفظيـة التامة قول ابن هانىء الأندلسي من أبيات :

وعوانس وقوانس وفوارس ... وكوانس وأوانس وعقـائل

ومن المناسبة اللفظية غير التامة :

مهــا الوحش إلا أن هــاتا أوانس

قنــا الحظ إلا أن تلك ذوابــل

فقد ناسب بين مها وقنا مناسبة غــير تامة وبين الوحش والحظ وأوانس وذوابل ٠

سُورَةُ الأحزاب

مَدَنِيَّة وَآيَاتُهَا ثَلاثٌ وَسَبْعُونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ
عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن
قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ
وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ
ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ
فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ
جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ
غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾

اللغــــة :

(تظاهرون) : مضارع ظاهر ومصدره الظِهار بكسر الظاء وهو ــ كما في القاموس ــ قول الرجل لامرأته أنت عليّ كظهر أمي وقد ظاهر منها وتظهّر وظهّر ، وخصوا الظهر دون غيره لأنه موضع الركوب والمرأة مركوب الزوج ففي قول المظاهر أنت عليّ كظهر أمي كناية تلويحية لأنه ينتقل من الظهر الى المركوب ومن المركوب إلى المرأة لأنها مركوب الزوج فكأن الظاهر يقول : أنت محرمة عليّ لا تركبين كتحريم ركوب أمي .

ومن المفيد أن نورد ما قاله الزمخشري في معنى أنت عليّ كظهر أمي قال : « أرادوا أن يقولوا أنت عليّ حرام كبطن أمي فكنوا عن البطن بالظهر لئلا يذكروا البطن الذي ذكره يقارب ذكر الفرج وإنما جعلوا الكناية عن البطن بالظهر لأنه عمود البطن ومنه حديث عمر رضي الله عنه : يجيء به أحدهم على عمود بطنه أراد على ظهره ووجه آخر وهو أن إتيان المرأة وظهرها الى السماء كان محرماً عندهم محظوراً وكان أهل المدينة يقولون : إذا أتيت المرأة ووجهها الى الارض جاء الولد أحول فلقصد المطلق منهم إلى التغليظ في تحريم امرأته عليه شبهها بالظهر ثم لم يقنع بذلك حتى جعله ظهر أمه فلم يترك ظهر الأم » وأحكام الظهار مبسوطة في كتب الفقه .

(أدعياءكم) : جمع دعي وهو من يدعى لغير أبيه ؛ فعيل بمعنى مفعول ولكن جمعه على أدعياء غير مقيس لأن أفعلاء إنما يكون جمعاً لفعيل المعتل اللام إذا كان بمعنى فاعل نحو تقي وأتقياء وغني وأغنياء ، وهذا وإن كان فعيلاً معتل اللام إلا أنه بمعنى مفعول فكان القياس جمعه على فعلى كقتيل وقتلى وجريح وجرحى .

الاعراب :

(يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليماً حكيماً) يا حرف نداء وأي منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب يا والهاء للتنبيه والنبي بدل واتق فعل أمر مبني على حذف حرف العلة والفاعل مستتر تقديره أنت ولفظ الجلالة : مفعول به ولا الواو حرف عطف ولا ناهية وتطع فعل مضارع مجزوم بلا وفاعل تطع ضمير مستتر تقديره أنت والكافرين مفعول به والمنافقين عطف على الكافرين وجملة إن الله تعليل للأمر والنهي لا محل لها وان واسمها وجملة كان خبرها واسم كان مستتر تقديره هو وعليماً خبر كان الأول وحكيماً خبرها الثاني • (واتبع ما يوحى اليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيراً) واتبع عطف على اتق وما مفعول به وجملة يوحى صلة ونائب الفاعل مستتر تقديره هو واليك متعلقان بيوحى ومن ربك حال وجملة إن الله تعليل للأمر أيضاً وقد تقدم اعرابها قريباً •

(وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً) عطف على ما تقدم وعلى الله متعلقان بتوكل وكفى فعل ماض والباء حرف جر زائد والله فاعل كفى محلاً ووكيلاً تمييز وأجازوا إعرابه حالاً • (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) كلام مستأنف مسوق للرد على مزاعم المشركين بأن لبعضهم قلبين فهو أعقل من محمد وسيأتي المزيد من هذا البحث في باب الفوائد• وما نافية وجعل الله فعل وفاعل ولرجل متعلقان بمحذوف مفعول جعل الثاني أو بنفس جعل وقلبين مفعول جعل محلاً مجرور بمن الزائدة لفظاً وفي جوفه صفة لقلبين • (وما جعل أزواجكم اللائي

تظاهرون منهن أمهاتكم) الواو عاطفة وما نافية وجعل فعل ماض وفاعل مستتر يعود على الله وأزواجكم مفعول جعل الأول واللائي اسم موصول صفة وجملة تظاهرون صلة ومنهن متعلقان بتظاهرون وإنما عدي بمن لأنه ضمن معنى التباعد كأنه قيل متباعدين من نسائهم بسبب الظهار ، وأمهاتكم مفعول جعل الثاني . (وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم) عطف على ما تقدم وأدعياءكم مفعول جعل الاول وأبناءكم مفعول جعل الثاني وستأتي قصة زيد بن حارثة في باب الفوائد ، وذلكم مبتدأ والاشارة للنسب وقولكم خبر وبأفواهكم حال أي كائناً بأفواهكم فقط من غير أن تكون له حقيقة .

(والله يقول الحق وهو يهدي السبيل) الواو للحال أوللاستئناف والله مبتدأ وجملة يقول خبر والحق صفة لمصدر محذوف أي القول الحق وهو مبتدأ وجملة يهدي السبيل خبر والسبيل منصوب بنزع الخافض أو مفعول ثان ليهدي كما تقدم . (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله) كلام مستأنف لبيان أن نسبة كل مولود الى والده أقوم وأعدل . وادعوهم فعل أمر وفاعل ومفعول به ولآبائهم متعلقان بادعوهم وهو مبتدأ وأقسط خبر وعند الله ظرف متعلق بمحذوف حال. (فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم) الفاء عاطفة وإن شرطية ولم حرف نفي وقلب وجزم وتعلموا فعل مضارع مجزوم بلم والواو فاعله وآباءهم مفعوله ، فإخوانكم الفاء رابطة للجواب وإخوانكم خبر لمبتدأ محذوف أي فهم اخوانكم وفي الدين حال ومواليكم عطف على اخوانكم أي أبناء عمومتكم ، والمولى يطلق على عدة معان منها ابن العم .

﴿ وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ﴾ الواو عاطفة وليس فعل ماض ناقص وعليكم خبر ليس المقدم وجناح اسمها المؤخر وفيما صفة لجناح وجملة أخطأتم صلة وبه متعلقان بأخطأتم . ﴿ ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ الواو عاطفة ولكن حرف استدراك مهمل لأنه خفف وما عطف على ما في قوله فيما فمحله الجر ، ويجوز أن يكون مبتدأ خبره محذوف أي تؤاخذون به أو عليكم الجناح فيه وجملة كان الله حالية أو استئنافية .

الفوائد :

اشتملت هذه الآيات على فوائد كثيرة نوردها فيما يلي على سبيل الاختصار ونحيل من أراد المزيد منها على المطولات .

١ ـ معنى ولا تطع الكافرين والمنافقين :

قال الزمخشري : « لا تساعدهم على شيء ولاتقبل لهم رأياً ولا مشورة وجانبهم واحترس منهم فانهم أعداء الله وأعداء المؤمنين لا يريدون إلا المضارّة والمضادّة ، وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة وكان يحب اسلام اليهود قريظة والنضير وبني قينقاع وقد بايعه ناس منهم على النفاق فكان يلين لهم جانبه ويكرم صغيرهم وكبيرهم وإذا أتى منهم قبيح تجاوز عنه وكان يسمع منهم فنزلت » وروي أن أبا سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور السلمي قدموا عليه فنزلوا على عبد الله بن أبيّ رأس المنافقين بعد قتال أحد وقد أعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم الأمان على أن يكلموه فقام معهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح وطعمة بن

أبيرق فقالوا للنبي وعنده عمر بن الخطاب : أرفض ذكر آلهتنا وقل إن لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربّك فشق" ذلك على النبي فقال عمر : يا رسول الله ائذن لنا في قتلهم فقال : إني أعطيتهم الأمان فقال عمر : اخرجوا في لعنة الله وغضبه فأمر النبي أن يخرجوا من المدينة •

٢ — معنى جمع القلبين :

قام النبي صلى الله عليه وسلم يوماً يصلي فخطر خطرة فقال المنافقون الذين يصلون معه : ألا ترى أن له قلبين : قلباً معكم وقلباً معهم ، وروى ابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن قال : كان رجل من قريش يسمى ذا القلبين يقول : لي نفس تأمرني ونفس تنهاني فأنزل الله فيه ما تسمعون • وروي أنه وجد من المشركين من ادعى أن له قلبين يفهم بكل منهما أو يعقل أفضل من عقل محمد وانه هو أو غيره كان يدعى ذا القلبين وأن الآية ردت هذا الزعم كما أبطلت مزاعم التبني والظهار من ضلالات العرب ومعنى القلب اللحمي غير مراد على كل حال •

هذا ويطلق لفظ القلب اسماً لمضغة من الفؤاد معلقة بالنياط أو بمعنى الفؤاد مطلقاً ، ويقول بعضهم : ان القلب هو العلقة السوداء في جوف هذه المضغة الصنوبرية الشكل المعروفة كأنه يريد أن هذا هو الأصل ثم جعله بعضهم اسماً لهذه المضغة وبعضهم توسع فسمى هذه اللحمة كلها حتى شحمها وحجابها قلباً ويطلق اسماً لما في جوف الشيء وداخله واسماً لشيء معنوي وهو النفس الانسانية التي تعقل وتدرك وتفقه وتؤمن وتكفر وتتقي وتزيغ وتطمئن وتلين وتقسو وتخشى وتخاف ، وقد نسبت إليه كل هذه المعاني في القرآن ، والأصل في هذا أن أسماء الاشياء المعنوية مأخوذة من أسماء الاشياء الحسية

وقد أطلق على الشيء الذي يحيا به الانسان ويدرك العقليات والوجدانيات كالحب والبغض والخوف والرجاء ، عدة أسماء منها القلب والروح والنفس واللب ، وهناك مناسبة أخرى للقلب وهي أن قلب الحيوان هو مظهر حياته الحيوانية ومصدرها وللوجدانات النفسية والعواطف تأثير في القلب الحسي يشعر به الانسان ومهما كانت المناسبة التي كانت سبب التسمية فلفظ القلب يطلق في القرآن بمعنى النفس المدركة والروح العاقلة التي يموت الانسان بخروجها منه قال تعالى « وبلغت القلوب الحناجر » أي الارواح لا هذه المضغ اللحمية التي لا تنتقل من مكانها وقال « فتكون لهم قلوب فيعقلون بها » أي نفوس وأرواح وليس المراد أن القلب الحسي آلة العقل وقال « نزل به الروح الأمين على قلبك » أي على نفسك الناطقة وروحك المدركة وليس المراد بالقلب هنا المضغة اللحمية ولا العقل ، لأن العقل في اللغة ضرب خاص من ضروب العلم والادراك ولا يقال ان الوحي نزل عليه ولكن قد تسمى النفس العاقلة عقلاً كما تسمى قلباً ، وقد يعزى الى القلب ويسند اليه ما هو من أفعال النفس أو انفعالاتها التي يكون لها أثر في القلب الحسي كقوله تعالى : « إذا ذكر الله وجلت قلوبهم » وقوله : « ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم » وقوله : « ويذهب غيظ قلوبهم » .

وقد افتتحت السورة بالأمر بتقوى الله والنهي عن طاعة الكافرين والمنافقين واتباع الوحي المنزل خاصة وجاء بعد ذلك قوله تعالى « ما جعل الله لرجل من قلبين » فكان المراد منه أن الانسان لا يمكن أن يكون له قلبان يجمع بهما بين الضدين وهما ابتغاء مرضاة الله وابتغاء مرضاة الكافرين والمنافقين بل له قلب واحد إذا صدق في التوجه الى شيء لا يمكنه أن يتوجه الى ضده بالصدق والاخلاص

فيكون في وقت واحد مخلصاً لله ومخلصاً لأعداء دينه ، ومن هـذا الباب قول الشاعر وقد رمق سماء هذا المعنى :

لو كان لي قلبـان عشت بواحـد
وتركـت قلبـاً في هواك يعـذب

وخلاصة القول أن أشـد ما ذكر فيه من التأويلات انهم كانوا يدعون لابن خطل قلبين فنفى الله صحة ذلك وقرنه بما كانوا يقولونه من الأقاويل المتناقضة كجعل الأدعياء أبناء والزوجات أمهات وهـذه الأمور الثلاثة متنافية ، أمـا الأول فإنه يلزم مـن اجتماع القلبـين قيام أحـد المعنيين بأحدهما وضـده في الآخر وذلك كالعلم والجهل والأمن والخوف وغير ذلك ، وأما الثاني فلأن الزوجة في مقام الامتهان والأم في محل الاكرام فنافى أن تكون الزوجة أماً ، وأما الثالث فلأن البنوّة أصالة وعراقة في النسب والـدعوة لاصقـة عارضة به فهما متنافيان وذكر الجوف ليصور به صورة اجتمـاع القلبـين فيه حتى يبادره السامع بالانكار .

هذا وقد قال تعالى هنا « ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه » وقـال في موضـع آخر : « رب إني نذرت لك مافي بطني محرراً » فاستعمل الجوف في الأولى والبطن في الثانية ولـم يستعمل الجوف موضع البطن ولا البطن موضع الجوف واللفظتان سواء في الدّلالة وهما ثلاثيتان في عدد واحـد ووزنهما واحـد أيضاً فانظر الى سبك الألفاظ كيف يفعل فعله ؟

٣ ــ قصة زيد بن حارثة :

أجمع أهل التفسير على أن قوله تعالى « وما جعل أدعياءكم أبناءكم » أنزل في زيد بن حارثة ، وكان من أمره ماروواه أنس بن مالك وغيره أنه سبي صغيراً فابتاعه حكيم بن حزام بن خويلد فوهبه لعمته خديجة بنت خويلد فوهبته خديجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه وتبناه فأقام عنده مدة ثم جاء عنده أبوه وعمه في فدائه فقال لهما رسول الله : خيّراه فإن اختراكما فهو لكما دون فداء فاختار زيد الرق مع رسول الله على حريته فقال النبي عند ذلك : يا معشر قريش اشهدوا أنه ابني ، ولما تزوج النبي زينب بنت جحش التي كانت امرأة زيد بن حارثة الذي تبناه النبي قالوا تزوج محمد امرأة ابنه فكذبهم الله في ذلك وسترد القصة مع مناقشتها قريباً في هذه السورة .

ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ
بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ إِلَّآ أَن
تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ وَإِذْ
أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى
ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن
صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾

الاعراب :

(النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم) النبي مبتدأ وأولى بالمؤمنين خبر ومن أنفسهم متعلقان بأولى أيضاً • (وأزواجه أمهاتهم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين) الواو عاطفة وأزواجه مبتدأ وأمهاتهم خبر وسيأتي معنى هذا التشبيه في باب البلاغة وأولو الأرحام مبتدأ أيضاً والأرحام جمع رحم وهي القرابة وبعضهم مبتدأ ثان أو بدل من أولو وأولى ببعض خبر ولا بد من تقدير مضاف محذوف أي بإرث بعض وفي كتاب الله متعلقان بأولى أو بمحذوف حال من الضمير في أولى ومن المؤمنين جار ومجرور متعلقان بأولى أيضاً أي الأقارب بعضهم أولى بإرث بعض من أن يرثهم المؤمنون والمهاجرون الأجانب ولك أن تعلقها بمحذوف على أنها حال لأنها بمثابة البيان لقوله أولو الأرحام • (إلا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفاً كان ذلك في الكتاب مسطوراً) إلا أداة استثناء وأن تفعلوا مصدر مؤول مستثنى من أعم العام لأنه استثناء من غير الجنس أي إلا في الوصية وهي المعنية بفعل المعروف والى أوليائكم متعلقان بتفعلوا بعد تضمينها معنى تؤدوا أو تسدوا ومعروفاً مفعول به وكان واسمها ومسطوراً خبرها وفي الكتاب متعلقان بمسطوراً • (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم) الظر فمتعلق بمحذوف أي اذكر والكلام مستأنف ولك أن تعطفه على محل في الكتاب فيتعلق بمسطوراً والأول أولى وجملة أخذنا في محل جر بإضافة الظرف اليها ومن النبيين متعلقان بأخذنا وميثاقهم مفعول به والمراد به تبليغ الرسالة وما بعده عطف على من النبيين من عطف الخاص على العام كما سيأتي في باب البلاغة •

(وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً) عطف على أخذنا السابقة وسيأتي سر وصف الميثاق بالغلظ في باب البلاغة . (ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعدّ للكافرين عذاباً أليماً) اللام للتعليل ويسأل فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام والجار والمجرور متعلقان بأخذ على طريق الالتفات وفاعل مستتر يعود على الله والصادقين مفعول به وعن صدقهم متعلقان بيسأل وأعد للكافرين عطف على أخذنا من النبيين وللكافرين متعلقان بأعد وعذاباً مفعول به وأليماً صفة .

البلاغة :

١ ـ التشبيه البليغ :

في قوله « وأزواجه أمهاتهم » تشبيه بليغ ووجه الشبه متعدد يتعلق ببعض الأحكام وهي : وجوب تعظيمهن واحترامهن وتحريم نكاحهن ولذلك قالت عائشة : « لسنا أمهات النساء » تعني أنهن إنما كنّ أمهات الرجال لكونهن محرمات عليهم كتحريم أمهاتهم ولهذا كان لا بد من تقدير أداة التشبيه فيه .

٢ ـ عطف الخاص على العام :

وفي قوله « وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك » الآية ، عطف الخاص على العام لأن هؤلاء الخمسة المذكورين هم أصحاب الشرائع والكتب وأولو العزم من الرسل فآثرهم بالذكر للتنويه بإنافة فضلهم على غيرهم ، وقدم النبي محمداً صلى الله عليه وسلم مع أنه مؤخر عن نوح ومن بعده لأنه هو المخاطب من بينهم والمنزل عليه هذا المتلو فكان تقديمه لهذا السبب لا لأن التقديم في الذكر مقتض لكونه أفضلهم ، فقد ورد في الشعر قوله :

بها ليل منهم جعفر وابن أمه علي ومنهم أحمد المتخير

فأخر ذكر النبي ليختم به تشريفاً .

٣ ـ الاستعارة المكنية :

وفي وصف الميثاق بالغلظ استعارة مكنية ، شبّه الميثاق بجرم محسوس واستعار له شيئاً من صفات الأجرام وهو الغلظ للتنويه بعظم الميثاق وجلاله وهو المعني بقوله تعالى « وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة » الآية .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ
فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾
إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ
وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ
ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى
قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ
مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ
ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾

اللغــة :

(الحناجر) : جمع حنجرة وهي الحلقوم أو رأس الغلصمة وهي منتهى الحلقوم وعبارة الزمخشري : « قالوا : إذا انتفخت الرئة من شدة الفزع أو الغضب أو الغم الشديد ربت وارتفع القلب بارتفاعها إلى رأس الحنجرة ومن ثمة قيل للجبان انتفخ سحره ويجوز أن يكون ذلك مثلاً في اضطراب القلوب ووجيبها وإن لم تبلغ الحناجر حقيقة ».

(زلزالاً) : بكسر الزاي وهي القراءة العامــة ويجوز فتحها إذ هما لغتان في مصدر الفعل المضعف إذا جاء على فعلال نحو زلزال وقلقال وصلصال ، وقد يراد بالمفتوح اسم الفاعل نحو صلصال بمعنى مصلصل وزلزال بمعنى مزلزل .

(يثرب) : في القاموس : « يثرب وأثرب مدينة النبي صلى الله عليه وسلم وهو يثربي وأثربي بفتح الراء وكسرها فيهما » قيل سميت باسم رجل من العمالقــة كان نزلها في قديم الزمان وقيل يثرب اسم لنفس المدينة وقد نهى النبي أن تسمى بهذا الاسم لما فيه من التثريب وهو التقريع والتوبيخ فذكروها بهذا الاسم مخالفة للنبي وفي المختار: التثريب التعيير والاستقصاء في اللوم وثرب عليه تثريباً قبح عليه فعله .

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود) اذكروا فعل أمر وفاعل ونعمة الله مفعول به وعليهم متعلقان بنعمة أو بمحذوف حال وإذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق باذكروا فهو بمثابة

بدل الاشتمال من نعمة الله والمراد بنعمة نصره في غزوة الاحزاب وسيأتي حديثها في باب الفوائد وجملة جاءتكم جنود في محل جر بإضافة الظرف اليها • (فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً) فأرسلنا عطف على جاءتكم وعليهم متعلقان بأرسلنا وريحاً مفعول به وجنوداً عطف على ريحاً وجملة لم تروها صفة لجنوداً وكان الله كان واسمها وبما متعلقان ببصيراً وجملة تعملون صلة وبصيراً خبر كان • (إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم) الظرف بدل من إذ جاءتكم وجملة جاءوكم مضاف اليها ومن فوقكم متعلقان بجاءوكم ومن أسفل منكم عطف على من فوقكم •

(وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا) عطف على إذ السابقة وكذلك بلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا والظنونا مفعول مطلق والألف مزيدة تشبيهاً للفواصل بالقوافي وسيأتي سر الجمع مع أقوال النحاة في جمع المصدر في باب الفوائد •

(هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً) هنالك اسم إشارة في محل نصب على الظرفية المكانية واللام للبعد والكاف للخطاب وهو متعلق بابتلي ويجوز أن يكون ظرف زمان وابتلي فعل ماض مبني للمجهول والمؤمنون نائب فاعل وزلزلوا عطف على ابتلي والواو نائب فاعل وزلزالاً مصدر مبين للنوع وشديداً صفة • (وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً) الظرف متعلق باذكر محذوفاً وجملة يقول في محل جر بإضافة الظرف اليها والذين عطف على المنافقون وفي قلوبهم خبر مقدم ومرض مبتدأ مؤخر وجملة ما وعدنا مقول القول والله فاعل ورسوله عطف عليه

وإلا أداة حصر وغروراً صفة لمفعول مطلق محذوف أي إلا وعد غرور (وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا) عطف على ما تقدم وقالت طائفة فعل وفاعل ومنهم صفة لطائفة ويا حرف نداء وأهل يثرب منادى مضاف ويثرب منعت من الصرف للعلمية ووزن الفعل وفيها التأنيث أيضاً ولا نافية للجنس ومقام اسمها المبني على الفتح ولكم خبرها ومقام بضم الميم وفتحها أي لا إقامة ولا مكانة ، فارجعوا الفاء الفصيحة أي إن سمعتم نصحي فارجعوا والقائل هو أوس بن قيظي بكسر الظاء من رؤساء المنافقين •

(ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً) ويستأذن الواو استئنافية ويستأذن فريق فعل مضارع وفاعل ولك أن تعطف على ما تقدم فتكون صيغة المضارع لاستحضار الصورة ومنهم صفة لفريق والنبي مفعول به وجملة يقولون حالية أو مفسرة ليستأذن وهو قول جميل وجملة إن وما في حيزها مقول القول وإن واسمها وخبرها والمراد بعورة الخلل الذي يجعلها مستهدفة للعدو لأنها تكون غير حصينة والواو للحال وما نافية حجازية وهي اسمها والباء حرف جر زائد وعورة مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما وإن نافية ويريدون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل وإلا أداة حصر وفراراً مفعول به •

الفوائـد :

١ ــ غزوة الأحزاب :

كانت غزوة الأحزاب في شوال سنة أربع وقيل سنة خمس المصادف لآذار سنة ٦٢٧ م حيث تحرك الى المدينة جيش مؤلف من

حوالي عشرة آلاف رجل بينهم أربعة آلاف قرشي بقيادة أبي سفيان وكانت حركة هذا الجيش سريعة فوق العادة ، هذه المرة ، وسببها فيما يذكر المؤرخون انه لما وقع اجلاء بني النضير من أماكنهم سار منهم جمع من أكابرهم بينهم حيي بن أخطب سيدهم الى أن قدموا مكة على قريش فحرضوهم على حرب رسول الله وقالوا إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله فقال أبو سفيان : مرحباً وأهلاً وأحب الناس الينا من أعاننا على عداوة محمد ثم قالت قريش لأولئك اليهود : يا معشر اليهود إنكم أهل الكتاب الأول فأخبرونا أنحن على الحق أم محمد ؟ فقالوا بل أنتم على الحق وفي موقف اليهود هذا من قريش وتفضيلهم وثنيتهم على محمد يقول الدكتور إسرائيل ولفنسون في كتابه « تاريخ اليهود في بلاد العرب » : « كان من واجب هؤلاء اليهود أن لا يتورطوا في مثل هذا الخطأ الفاحش وأن لا يصرحوا أمام زعماء قريش بأن عبادة الأصنام أفضل من التوحيد الاسلامي ولو أدى بهم الأمر الى عدم إجابة مطلبهم لأن بني إسرائيل الذين كانوا منذ عدة قرون حاملي راية التوحيد في العالم بين الأمم الوثنية باسم الآباء الأقدمين والذين نكبوا بنكبات لا تحصى من تقتيل واضطهاد بسبب إيمانهم بإله واحد في عصور شتى من أدوار التاريخ كان من واجبهم أن يضحوا بحياتهم وكل عزيز لديهم في سبيل أن يخذلوا المشركين ، هذا فضلاً عن أنهم بالتجائهم الى عبدة الأصنام إنما كانوا يحاربون أنفسهم بأنفسهم ويناقضون تعاليم التوراة التي توصيهم بالنفور من أصحاب الأصنام والوقوف منهم موقف الخصومة » .

تحريض القبائل وتأليبها :

لم يكف حيي بن أخطب واليهود الذين معه هذا الذي قالوا لقريش في تفضيل وثنيتها على توحيد محمد حتى تنشط لمحاربته بل

خرج أولئك اليهود الى غطفان من قيس عيلان ومن بني مرة ومن بني فزارة ومن أشجع ومن سليم ومن بني سعد ومن أسد ومن كل من لهم عند المسلمين ثأر وما زالوا يحرضونهم على الأخذ بثأرهم ويذكرون لهم متابعة قريش إياهم على حرب محمد ويحمدون لهم وثنيتهم ويعدونهم النصر لا محالة وخرجت الأحزاب التي جمع اليهود لحرب محمد وأصحابه .

ما عسى أن يصنع المسلمون لمقابلة الألوف المؤلفة من رجال وخيل وإبل وأسلحة وذخيرة ؟ لم يكن لهم غير التحصن بيثرب العذراء سبيل ولكن ؟ ! أفيكفي هذا التحصن أمام تلك القوة الساحقة ، وكان سلمان الفارسي يعرف من أساليب الحرب ما لم يكن معروفاً في بلاد العرب فأشار بحفر الخندق حول المدينة وتحصين داخلها وسارع المسلمون الى تنفيذ نصيحته فحفر الخندق وعمل فيه النبي بيده فكان يرفع التراب ويشجع المسلمين بذلك أعظم تشجيع ، وأقبلت قريش وأحزابها وهي ترجو أن تلقى محمداً بأحد فلم تجد عنده أحد فجاوزته الى المدينة حتى فاجأها الخندق فعجبت إذ لم تتوقع هذا النوع من الدفاع المجهول منها وبلغ منها الغيظ حتى زعمت الاحتماء وراءه جبناً لا عهد للعرب به ورأت قريش والاحزاب معها أن لا سبيل الى اجتياز الخندق فاكتفت بتبادل الترامي بالنبال عدة أيام .

وأيقن أبو سفيان والذين معه أنهم مقيمون أمام يثرب وخندقها طويلاً دون أن يستطيعوا اقتحامها وكان الوقت آنئذ شتاء قارصاً برده ، عاصفة رياحه ، يخشى في كل وقت مطره ، وإذا كان يسيراً أن يحتمي أهل مكة وأهل غطفان من ذلك كله بمنازلهم في مكة وفي غطفان فالخيام التي ضربوا أمام يثرب لا تحميهم منه فتيلاً وهم بعد

جاءوا يرتجون نصراً ميسوراً لا يكلفهم غير يوم كيوم أحد ثم يعودون أدراجهم ويستمتعون باقتسام الغنائم والأسلاب ، وماذا عسى يمسك غطفان على أن تعود أدراجها وهي إنما اشتركت في الحرب لأن اليهود وعدتها متى تم النصر ثمار سنة كاملة من ثمار مزارع خيبر وحدائقه وهذه هي ترى النصر غير ميسور أو هو على الأقل غير محقق وهو يحتـاج من المشقة في هـذا الفصـل القارص الى ما ينسيها الثمار والحدائق .

فأما انتقام قريش لنفسها من بدر ومما لحقها بعد بدر من هزائم فأمره مدرك على الأيام ما دام هذا الخندق يحول دون إمساك محمد بالتلابيب وما دامت بنو قريظة تمد أهل يثرب بالمئونة مدداً يطيل أمد مقاومتهم شهوراً وشهوراً ، أفليس خيراً للأحزاب أن يعودوا أدراجهم؟ بلى ولكن جمع هذه الاحزاب لحرب محمد مرة أخرى ليس بالميسور ، وإن انتصر محمد بانسحاب الأحزاب فالويل لليهود ، قدر حيي بن أخطب هذا كله وخاف مغبّته ورأى أن لا مندوحة له عن أن يغامر بآخر سهم عنده فأوحى الى الاحزاب انه مقنع بني قريظة بنقض عهد موادعتهم محمداً والمسلمين وبالانضمام اليهم ، وان قريظة متى فعلت ذلك انقطع المدد والميرة عن محمـد من ناحية وفتح الطريق لدخول يثرب من الناحية الأخرى ، وسارع هو فذهب يريـد كعب بن أسد صاحب عقد بني قريظة وما زال به حتى فتح باب الحصن وقال له : ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وببحر طام : جئتك بقريش وبغطفان وقد عاهدوني عـلى أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمـداً ومن معه ، وتردّد كعب وذكر وفاء محمد وصدقه لعهده وخشي مغبة ما يدعوه حيي إليه ، بيد أن حيياً ما زال به يذكر له ما أصاب اليهود من محمد

وما يوشك أن يصيبهم منه إذا لم تنجح الأحزاب في القضاء عليه حتى لان كعب له فسأله : وماذا يكون إذا ارتدت الأحزاب ؟ هناك أعطاه حيي موثقاً إن رجعت غطفان وقريش ولم يصيبوا محمـــداً أن يدخل معـــه في حصنه فيشد أزره ويشاركه حظـــه وتحركت في نفس كعب يهوديته فقبل ما طلب حيي ونقض عهده مع محمد والمسلمين وخرج عن حياده ٠

وسمت روح الأحزاب المعنويـــة حتى دفعت بعض فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود وعكرمة بن أبي جهل وضرار بن الخطاب أن يقتحموا الخندق فتيمموا مكاناً منه ضيقاً فضربوا خيلهم فاجتازت بهم في السبخة بين الخندق وسلع وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين فأخذوا عليهـــم الثغرة التي اقتحموا منهـــا خيلهم وتقدم عمرو بن عبـــدود ينادي من يبارز ؟ ولما دعـــاه علي بن أبي طالب الى النزال قال في صلف : ارجع يا ابن أخي فوالله ما أحب أن أقتلك ، قال علي : لكني والله أحب أن أقتلك فتنازلا فقتله علي وفرت خيل الأحزاب منهزمة حتى اقتحمت الخندق من جديد مولية الأدبار لا تلوي على شيء ٠

وأعظمت الأحزاب نيرانها مبالغة في تخويف المسلمين واضعافاً لروحهم وبدأ المتحمسون من قريظة ينزلون من حصونهم وآطامهم الى المدينة ومنازلها القريبة منهم يريدون إرهاب أهلها، كانت صفية بنت عبد المطلب في فارع حصن حسان بن ثابت وكان حسان فيه مع النساء والصبيان فمر بهم يهودي فقالت صفية مخاطبة حسان : إن هذا اليهودي يطيف بالحصن فانزل إليه واقتله ، قال حسان : يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا فأخذت صفية عموداً ونزلت من الحصن

وضربت به اليهـودي حتى قتلته فلما رجعت قالت يا حسان انزل اليه فاسلبه فانه لم يمنعني من سلبه إلا انه رجـل ، قال حسان مالي الى سلبه من حاجة .

وظل أهل المدينة في فزعهم بينا جعل محمد صلى الله عليه وسلم يفكر في الوسيلة للخلاص ولم تكن الوسيلة مواجهة العـدو بطبيعة الحيلة فلتكن الحيلة وليكن الرأي والتدبير فبعث الى غطفان يعدها ثلث ثمار المدينة إن هي ارتحلت وكانت غطفان قد بدأت تمل فأظهرت امتعاضاً من طول هذا الحصار وما لقوا من العنت أثناءه ، ولما كان الليل عصفت ريح شديدة وهطل المطر هاتناً وقصف الرعد واشتدت العاصفة فاقتلعت خيام الاحزاب وأدخلت الرعب الى نفوسهم وخيل إليهم أن المسلمين بدءوهم بشر فقـام طليحـة بن خويلد فنادى : أن محمد قد بدأكم بشر فالنجاة ، وقال أبو سفيان يا معشر قريش : إنكم والله ما أصبحتم بدار مقـام لقـد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا منهم ما نكره ولقينا من شدة الريح ما ترون فارتحلوا إني مرتحل ، فاستخف القوم ما استطاعوا من متاع وانطلقوا وتبعتهم غطفان حتى إذا كان الصبح لم يجد محمد منهم أحداً فانصرف راجعاً الى المدينة والمسلمون معه يرفعون أكف الضراعـة شكراً أن رفع الله الضر عنهم وأن كفى الله المؤمنين شر القتال وحين انجلى الاحزاب قال رسول الله : الآن نغزوهم ولا يغزونا والبقية في السير والمطولات .

٢ ـ هل يثنى المصدر ويجمع ؟

المصدر المؤكد لعامله لا يثنى و لايجمع باتفاق فلا يقال ضربت ضـربين ولا ضربت ضروباً لأنه اسم جنـس مبهم والمصـدر المبهم

لا يتأتى فيه ضمه الى شيء آخر لأنه يدل على مجرد الحقيقة والحقيقة من حيث هي حقيقة تدل على القليل والكثير فلم يبق شيء يضم اليها فتصح فيها التثنية والجمع وهذا أمر عقلي وإنما جاز تثنية المصدر المختوم بالتاء وجمعه لأنه بدخول التاء صار يدل على مرة واحدة من ذلك المصدر فيصح ضمه الى ما المرة الواحدة منه فيثنى ويجمع ، واختلف في المصدر النوعي والمشهور الجواز فيقال ضربت ضربين ضربا عنيفاً وضرباً رفيقاً وضربت ضروباً مختلفة ، وظاهر مذهب سيبويه المنع وانه لا يقال منه إلا ما سمع ، واحتج المجيز بمجيئه في الفصيح كقوله تعالى « وتظنون بالله الظنونا » قالوا : وانما جمع الظن لاختلاف أنواعه لأن من خلص إيمانه ظن أن ما وعدهم الله به من النصر حق ومن ضعف إيمانه اضطرب ظنه ومن كان منافقاً ظن أن الدائرة تكون على المؤمنين فأخلفت ظنونهم ، والى ذلك أشار ابن مالك بقوله في الخلاصة :

وما لتوكيد فوحد أبدا وثنّ واجمع غيره وأفردا

٣ ـ اختلف القراء في هذه الألف في الظنونا فأثبتها وصلاً ووقفاً نافع وابن عامر وأبو بكر ورويت هذه القراءة عن أبي عمرو والكسائي وتمسّكوا بخط المصحف العثماني وجميع المصاحف في جميع البلدان ، فإن الألف فيها كلها ثابتة واختار هذه القراءة أبو عبيد إلا أنه قال : لا ينبغي للقارىء أن يدرج القراءة بعدهن بل يقف عليهن ، وتمسكوا أيضاً بما في أشعار العرب من مثل هذا ، وقرأ أبو عمرو وحمزة والجحدري ويعقوب بحذفها في الوصل والوقف معاً وقالوا هي من زيادات الخط فكتبت كذلك ولا ينبغي النطق بها وأما في الشعر فهو يجوز فيه للضرورة مالا يجوز في غيره ، وقرأ ابن كثير

والكسائي وابن محيص باثباتها وقفاً وحذفها وصلاً وهـذه القراءة راجحة باعتبار اللغة العربية وهذه الألف هي التي تسميها النحاة ألف الاطلاق والكلام فيها معروف وهكـذا اختلف القراء في الألف التي في قوله : الرسولا والسبيلا كما سيأتي في آخر هذه السورة .

وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا (١٤) وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا (١٥) قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٦) قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧)

الاعراب :

(ولو دُخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لأتوها) الواو عاطفة ودخلت فعل ماض مبني للمجهول وعليهم متعلقان به ونائب الفاعل مستتر أي المدينة أو بيوتهم ومن أقطارها حال أي من جميع جوانبها وثم حرف عطف وتراخ وسئلوا فعل ماض مبني للمجهول والواو نائب فاعل والفتنة مفعول به ثان لسئلوا والمراد بالفتنة الردة والرجعة الى الكفر واللام واقعة في جواب لو وأتوها فعل

وفاعل ومفعول به والجملة لامحل لها • (وما تلبّثوا بها إلا يسيراً) الواو عاطفة وما نافية وتلبثوا فعل ماض وفاعل وبها متعلقان بتلبثوا وإلا أداة حصر ويسيراً نعت لمصدر محذوف أو لوقت محذوف فيصح أن تكون مفعولاً مطلقاً أو ظرف زمان • (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسئولاً) الواو عاطفة واللام موطئة للقسم وقد حرف تحقيق وكانوا فعل ماض ناقص والواو اسمها وجملة عاهدوا خبرها ولفظ الجلالة مفعول به ومن قبل متعلقان بعاهدوا وجملة يولون الأدبار لا محل لها لأنها جواب للقسم والأدبار مفعول به ثان ليولون والمفعول الاول محذوف أي لا يولون العدو الأدبار والواو عاطفة وكان واسمها وخبرها أي مطلوباً •

(قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذن لا تمتعون إلا قليلاً) لن حرف نفي ونصب واستقبال وينفعكم فعل مضارع منصوب بلن والكاف مفعول به والفرار فاعل وإن حرف شرط جازم يجزم فعلين وفررتم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والجواب محذوف دل عليه ما قبله ومن الموت متعلقان بفررتم وإذن حرف جواب وجزاء مهمل لوقوعه بعد عاطف كما هو الغالب عليه ولا نافية وتمتعون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل وإلا أداة حصر وقليلاً نعت لمصدر محذوف أي إلا تمتيعاً قليلاً أو صفة لظرف محذوف أي إلا زماناً قليلاً فيصح أن تكون مفعولاً مطلقاً أو ظرف زمان • (قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة) من اسم استفهام مبتدأ وذا اسم اشارة في محل رفع خبر والذي بدل وجملة يعصمكم من الله صلة وإن شرطية وأراد فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والجواب محذوف دل عليه

ما قبله أي فمن ذا الذي يعصمكم وسوءاً مفعول به أو أراد بكم رحمة عطف على ما تقدم ولا بد من تقدير محذوف أي أو يصيبكم بسوء إن أراد بكم رحمة . (ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً) الواو استئنافية أو حالية ولا نافية ويجدون فعل وفاعل ولهم في محل نصب مفعول ثان ليجدون ومن دون الله حال ووليا مفعول به أول ولا نصيراً عطف على ولياً .

* قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾

اللغـــة :

(المعوقين): المثبطين الذين كانوا يخذلون المسلمين وفي الأساس: « وعاقه واعتاقه وعوقه « قد يعلم الله المعوّقين منكم » وتقول : فلان صحبه التعويق فهجره التوفيق، ورجل عُوقة : ذو تعويق وتريث عن الخير وتقول : يا من عن الخير يعوق، إن أحق أسمائك أن تعوق ».

(أشحة) جمع شحيح وهو البخيل والحريص وهو جمع غير مقيس لأن قياس فعيل الوصف الذي عينه ولامه من واد واحد أن تجمع على أفعلاء نحو خليل وأخلاء وظنين وأظناء وقد سمع أشحاء وهو القياس .

(سلقوكم) : آذوكم أو ضروكم وفي المختار : « سلقه بالكلام آذاه وهو شدة القول باللسان قال تعالى : « سلقوكم بألسنة حداد » وسلق البقل أو البيض أغلاه بالنار إغلاءة خفيفة وباب الكل ضرب » وفي المصباح أنه من باب قتل أيضاً وعبارة الراغب : « السلق بسط بقهر إما باليد أو باللسان ويؤخذ من القاموس واللسان : سلق يسلق من باب قتل البيض أو البقل أغلاه بالنار وطبخه بالماء ، وسلقه بالكلام: آذاه ومنه سلقه بألسنة حداد ، وسلقه بالرمح طعنه وسلقه بالسوط ضربه الى أن نزع جلده ، وسلق اللحم عن العظم قشره ، ويجوز أن يكون الكلام مجازياً كما سيأتي في باب البلاغة وعلى كل حال فالعامة تستعمل هذه الكلمة استعمالاً لا غبار عليه .

الاعراب :

(قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلمّ إلينا) كلام مستأنف مسوق لتصوير حال المنافقين ، وقد حرف تكثير وأصله للتقليل إذا دخل على فعل المضارع وقد تقدم بحثه ، ويعلم الله المعوقين فعل وفاعل ومفعول به ومنكم حال والقائلين عطف على المعوقين ولإخوانهم متعلقان بالقائلين وهلم اسم فعل أمر والينا متعلقان به وهي لغة أهل الحجاز يسوون فيه بين الواحد والجماعة ويستعمل لازماً كما هنا ومتعدياً كما في الأنعام وقد تقدم القول فيه . (ولا يأتون البأس

إلا قليلاً) الواو حالية ولا نافية ويأتون البأس فعل مضارع مرفوع وفاعل ومفعول به أي القتال وإلا أداة حصر وقليلاً مفعول مطلق أو ظرف زمان . (أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك) أشحة حال من فاعل يأتون أو منصوب على الذم بفعل محذوف تقديره أذم وعبارة الزمخشري : « أشحة عليكم : في وقت الحرب أضناء بكم يترفرفون عليكم كما يفعل الرجل بالذاب عنه المناضل دونه عندالخوف» فإذا الفاء استئنافية واذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة جاء الخوف في محل جر بإضافة الظرف اليها وجملة رأيتهم لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وجملة ينظرون اليك حال لأن الرؤية هنا بصرية واليك متعلقان بينظرون .

(تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت) جملة تدور أعينهم حال من فاعل ينظرون وهو الواو وكالذي نعت لمصدر محذوف أي تدور دوراناً كدوران عين الذي ، فبعد الكاف محذوفان وهما دوران وعين ، وجملة يغشى صلة الذي ويغشى فعل مضارع مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير مصدر مختص بلام العهد أو بصفة محذوفة والمعنى ويغشى الغشيان المعهود وعليه متعلقان بيغشى ويجوز أن يكون نائب الفاعل هو الجار والمجرور وقد تقدم بحث ما ينوب عن نائب الفاعل فجدد به عهداً . (فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد) الفاء عاطفة واذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة ذهب الخوف في محل جر بإضافة الظرف اليها وجملة سلقوكم جواب شرط غير جازم لا محل لها وبألسنة متعلقان بسلقوكم وحداد نعت لألسنة . (أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً) أشحة نصب على الحال أو على الذم كما تقدم وعلى الخير

متعلقان بأشحة أي على الغنيمة يطلبونها وأولئك مبتدأ وجملة لم يؤمنوا خبر ، فأحبط عطف على لم يؤمنوا والله فاعل وأعمالهم مفعول به وكان الواو حالية أو استئنافية وكان واسمها وخبرها وعلى الله حال والاشارة للاحباط والمعنى أن أعمالهم جديرة بالاحباط لا يصرف عنه صارف وليس هو بالأمر الصعب العسير •

البلاغة :

١ ـ فن التنذير :

في قوله « فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه الموت » فن ألمع اليه صاحب نهاية الأرب وابن أبي الاصبع وهو فن « التنذير » وحدّه أن يأتي المتكلم بنادرة حلوة أو نكتة مستطرفة وهو يقع في الجد والهزل فهو لا يدخل في نطاق التهكم ولا في نطاق فن الهزل الذي يراد به الجد ويجوز أن يدخل في نطاق باب المبالغة وذلك واضح في مبالغته تعالى في وصف المنافقين بالخوف والجبن حيث أخبر عنهم أنهم تدور أعينهم حالة الملاحظة كحالة من يغشى عليه من الموت ولو اقتصر على قوله كالذي يغشى عليه من الموت لكان كافياً بالمقصود ولكنه زاد شيئاً بقوله « من الموت » إذ أن حالة المغشي عليه من الموت أشد وأنكى من حالة المغشي عليه من غير الموت ولو جاء سبحانه في موضع الموت بالخوف لكان الكلام بليغاً لامحالة غير أن ما جاء في التنزيل أبلغ وهو مع ذلك خارج مخرج الحق متنزل منزلة الصدق فإن من كان قوي النفس شجاع القلب لا يرضى بالنفاق بل يظهر ما يبطنه الخائف لأنه لا يبالي بالموت •

٢ ــ الاستعارة المكنية :

وذلك في قوله « سلقوكم بألسنة حداد » فقد شبه اللسان بالسيف ثم حذف المشبه به واستعار شيئاً من خصائصه وهو الضرب وهذه الاستعارة تتأتى على تفسير السلق بالضرب والحامل عليه وصف الألسنة بالحداد كما تقدم في باب اللغة .

يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم
بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓا۟
إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ
يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ
ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا
زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

اللغة :

(بادون) : جمع باد وهو ساكن البادية يقال : لقد بدوت يا فلان أي نزلت البادية وصرت بدوياً وما لك والبداوة ؟ وتبدّى الحضري ، ويقال : أين الناس ؟ فتقول : لقد بدوا أي خرجوا الى البدو وكانت لهم غنيمات يبدون اليها .

(الأعراب) : قال في القاموس وشرحه : العُرب بالضم وبالتحريك خلاف العجم مؤنث وهم سكان الأمصار أو عام والأعراب

منهم سكان البادية لا واحد له ويجمع أعاريب وعرب عاربة وعرباء وعربة صُرَحاء ومتعربة ومستعربة دخلاء .

الاعراب :

(يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب) الكلام مستأنف مسوق لتصوير خوفهم ولك أن تجعله حالاً من أحد الضمائر المتقدمة أي هم من الخوف بمثابة من لا يصدقون أن الأحزاب قد ذهبوا عنهم وتخلوا عن نصرتهم . ويحسبون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل والأحزاب مفعول به أول وجملة لم يذهبوا مفعول به ثان وإن الواو عاطفة وإن شرطية ويأت فعل الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة والأحزاب فاعل ويودوا جواب الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف النون ولو مصدرية ، ولو وما بعدها في تأويل مصدر مفعول يودوا أي يتمنون لخوفهم مما منوا به أشرتهم خارجين الى البدو ، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر فاعل لفعل محذوف تقديره يودوا لو ثبت أنهم بادون، وسيأتي مزيد بحث عن لو المصدرية في باب الفوائد ، وأن واسمها وبادون خبرها وفي الأعراب متعلقان ببادون أو بمحذوف حال . (يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلاً) جملة يسألون يجوز أن تكون مستأنفة أو أن تكون حالاً من ضمير يحسبون ، وعن أنبائكم متعلقان بيسألون والواو حالية ولو شرطية وكان واسمها وفيكم خبرها وما نافية وقاتلوا فعل وفاعل وجملة ما قاتلوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ويتمشى عليها ما أوردناه في قوله « ولو أن مافي البحر من شجرة أقلام » الآية ،

وإلا أداة حصر وقليلاً نعت لمصدر محذوف أي إلا قتالاً قليلاً أو نعت لظرف محذوف أي إلا وقتاً قليلاً .

(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) كلام مستأنف مسوق لعتاب المتخلفين عن القتال واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وكان فعل ماض ناقص ولكم خبرها المقدم وفي رسول الله حال لأنه كان في الأصل صفة لأسوة وأسوة اسم كان المؤخر وحسنة صفة لأسوة أي قدوة حسنة بضم الهمزة وقد تكسر . (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) لمن الجار والمجرور بدل من لكم وأعيدت اللام مع البدل للفصل أو يكون بدل اشتمال ، وجملة كان صلة من واسم كان مستتر تقديره هو وجملة يرجو الله خبرها واليوم الآخر عطف على لفظ الجلالة وذكر عطف على كان ولفظ الجلالة مفعول به وكثيراً مفعول مطلق أو ظرف وقد تقدم نظيره قريباً . (ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا : هذا ما وعدنا الله ورسوله) لما ظرفية حينية متعلقة بقالوا أو رابطة متضمنة معنى الشرط على كل حال ورأى المؤمنون الأحزاب فعل ماض وفاعل ومفعول به وجملة قالوا لا محل لها وهذا مبتدأ وما خبر والجملة مقول القول وجملة وعدنا الله ورسوله صلة ما . (وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً) الواو عاطفة وصدق الله فعل وفاعل وفيه وضع الظاهر موضع المضمر لتعظيمه والتنويه بوعدهما الكائن ، وما زادهم عطف على صدق وإلا أداة حصر وإيماناً مفعول به ثان لزادهم وتسليماً عطف على إيماناً وفاعل زادهم ضمير الوعد أو الصدق .

البلاغــة :

في قوله : « وصدق الله ورسوله » فن تكرير الظاهر تعظيماً ، ولو أنه أعادهما مضمرين لجمع بين اسم الله تعالى واسم رسوله في لفظة واحدة ، فقال وصدقا ، وقد كره النبي ذلك حين رد عــلى أحد الخطباء الذين تكلموا بين يديه إذ قال : من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال النبي له : بئس خطيب القوم أنت قل : ومن يعص الله ورسوله ، قصدا الى تعظيم الله . وقد استشكل بعض العلمــاء قوله عليه الصلاة والسلام حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما فقال انه جمع بينهما في ضمير واحد وأجيب على هذا الاستشكال بأن النبي صــلى الله عليه وسلم أعرف بقــدر الله منّا فليس لنا أن نقول كما يقول .

الفوائــد :

لو المصدرية :

لو المصدرية ترادف أن المصدرية في المعنى والسبك إلا أنهــا لا تنصب ، وأكثر وقوعها بعــد مفهوم تمن مثل ودّ وأحب واختار وتمنى وقيل بل بعد ودّ وتمنى خاصة لأن الانسان قد يحب الشيء ولا يتمنى حصوله لعارض في طلبه ، وتقع بعد غير التمني قليلاً كقول قتيلة بالتصغير بنت النضر بن الحارث الأسدية تخاطب النبي صلى الله عليه وسلم حين قتل أباها النضر صبرا بعد أن انصرف من غزوة بدر :

ما كان ضــرك المن لو مننت وربمــــا

منّ الفــــتى وهــــو المغيــظ المحنق

أي ما كان ضرك المن وقبل هذا البيت :

أمحمـــد ولأنت فحـــل نجيبـــة
في قومهـا والفحـــل فحـــل معرق

وسبب قتل النبي أباها أنه كان يقرأ أخبار العجم عـلى العرب ويقول محمد يأتيكم بأخبار عـاد وثمود وأنا آتيكم بخبر الأكاسرة والقياصرة يريد بذلك أذى النبي ، فلما سمع النبي هذا البيت وهو من أبيات أنشدتها بين يديه قال : لو سمعته قبل قتله ما قتلته ولعفوت عنه ثم قال لا يقتل قرشي صبرا .

هذا وقد استدل بقوله صلى الله عليه وسلم : « لو سمعته قبل قتله ما قتلته ولعفوت عنه » بعض الأصوليين على جواز تفويض الحكم الى المجتهد فيقال له : احكم بما شئت فهو صواب ، وعلى وقوع ذلك فإن قوله قبل قتله يدل على أن القتل وعدمه مفوضان اليه ، والمانعون من الوقوع يجيبون بأن يجوز أن يكون النبي خـيّر فيهما معاً فقيل له : لك أن تأمر بقتله وأن لا تأمر ونحو ذلك ، ويجوز أن وحياً نزل بأنه لو شفع فيه ما قتله . والنجيبة الكريمة الحسنة والفحـل الذكر من كل حيوان كما في القاموس والمعرق اسم فاعل من أعرق الرجل صار عريقاً وهو الذي له عرق في الكرم ومعنى لو مننت لو أنعمت وأحسنت ، ثم يحتمل أن يكون المصـدر المؤول مـن لو ومننت أي المنّ اسم كان المؤخر وجملة ضرك خبرها المقدم ويحتمـل أن يكون المصدر فاعل لضرك والجملة خبر كان واسمها ضمير الشأن ويحتمل أن تكون ما استفهامية محلها الرفع عـلى الابتداء ، وكان يحتمل أن

تكون زائدة وأن لا تكون فعلى الأول تكون جملة ضرك خبراً عن ما الاستفهامية وعلى الثاني تكون جملة ضرك خبر كان وجملة كان خبر ما ، هذا ويحتمل أن تكون لو شرطية على بابها وما تقدم دليل الجواب ويطيح هذا كله ، والمغيظ بفتح الميم اسم مفعول من غاظه يغيظه بالغين والظاء المعجمتين الغضب أو شدته أو سورة أوله ، والمحنق بضم الميم وفتح النون اسم مفعول من أحنقه بالحاء المهملة إذا أغاظه .

ونعود الى ذكر لو المصدرية فنقول : لو المصدرية لا جواب لها وإذا وليها فعل ماض بقي على مضيه واذا وليها فعل مضارع محضته للاستقبال كما أن المصدرية كذلك .

مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ
نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ
بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ
غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى
ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم
مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ
وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ
تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾

اللغــــة :

(قضى نحبه) : مات والنحب النذر ووقـع قولهم قضى نحبه عبارة عن الموت لأن كل حي لا بد له من أن يموت فكأنه نذر لازم في رقبته فإذا مات فقد قضى نحبه أي نذره والنـذر بفتـح النون ، وقد وهم صاحب المنجد فضبطه بكسرها وهذا غريب ، وفي المصباح : « نحب نحباً من باب ضرب بكى والاسم النحيب ونحب نحباً من باب قتل : نذر وقضى نحبه مات أو قتل في سبيل الله وفي التنزيل : « فمنهم من قضى نحبه » .

(صياصيهـم) : حصونهـم جمـع صيصية وفي القاموس : « والصيصية شوكـة الحائط يسوّي بها السدى واللحمة وشوكـة الديك التي في رجله وقرن البقر والظباء والحصن وكل ما امتنع به » .

الاعراب :

(من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه) كلام مستأنف مسوق لبيان حال الصالحين من الصحابة الذين نذروا أنهم إذا أدركوا حرباً مع رسول الله ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وتقسيمهم الى قسمين . ومن المؤمنين خبر مقـدم ورجال مبتـدأ مؤخر وجملة صدقوا صفة لرجال وما اسم موصول مفعول به وعاهدوا الله عليه صلة ما وعليـه متعلقان بعاهدوا . (فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً) الفاء تفريعية ومنهم خبر مقدم ومن مبتدأ مؤخر وجملة قضى نحبه صلة من ومنهم من ينتظر عطف على ما سبقه والواو عاطفة وما

نافية وبدلوا فعل وفاعل والمفعول به محذوف أي العهد وتبديلاً مفعول مطلق. (ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء) اللام لام التعليل ويجزي فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام والجار والمجرور متعلقان بمضمر مستأنف مسوق لبيان ما دعا الى وقوع ما حكى من الاقوال والتقدير وقع جميع ما وقع ليجزي الله الصادقين وقيل هو متعلق بما قبله ومترتب عليه فيتعلق بصدقوا على أنه تعليل له وقيل غير ذلك وما ذكرناه أولى ، والله فاعل والصادقين مفعول به وبصدقهم متعلقان بيجزي ويعذب المنافقين عطف على ليجزي الله الصادقين وان شرطية وشاء فعل ماض وهو فعل الشرط والجواب محذوف وكذلك مفعول شاء أي إن شاء تعذيبهم عذبهم . (أو يتوب عليهم إن الله كان غفوراً رحيماً) أو حرف عطف ويتوب عطف على ما قبله وعليهم متعلقان بيتوب وجملة إن الله تعليل لما تقدم وان واسمها وجملة كان خبرها واسم كان ضمير مستتر تقديره هو وغفوراً خبرها الأول ورحيماً خبرها الثاني .

(وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً) الواو عاطفة ورد الله الذين كفروا عطف على ما تقدم وهو فعل ماض وفاعل ومفعول به وجملة كفروا صلة الموصول وهم الأحزاب وبغيظهم حال أي مغيظين ولك أن تجعله مفعولاً ثانياً لرد وجملة لم ينالوا خيراً حال ثانية أو حال من الحال الأولى فهي متداخلة . (وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً) الواو عاطفة وكفى الله المؤمنين فعل وفاعل ومفعول به أول والقتال مفعول به ثان لأن كفى هنا بمعنى وقى وهي عندئذ متعدية لاثنين وقد مرّ القول مفصلاً في كفى وكان واسمها وخبراها . (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم) الواو عاطفة

وأنزل فعل ماض وفاعله مستتر يعود على الله والذين مفعول به وجملة ظاهروهم صلة ومن أهل الكتاب حال ومن صياصيهم جار ومجرور متعلقان بأنزل ولك أن تجعل الكلام مستأنفاً مسوقاً للشروع في سرد قصة غزوة بني قريظة وستأتي خلاصتها في باب الفوائد . (وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً) وقذف عطف على أنزل وفي قلوبهم متعلقان بقذف والرعب مفعول به لقذف وفريقاً مفعول مقدم لتقتلون وتأسرون فريقاً فعل وفاعل ومفعول به (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطئوها وكان الله على كل شيء قديراً) وأورثكم فعل وفاعل مستتر ومفعول به أول وأرضهم مفعول به ثان وديارهم وأموالهم وأرضاً معطوفة على أرضهم وجملة لم تطئوها صفة لأرضاً وكان واسمها وخبرها والمراد بها البلاد التي فتحوها فيما بعد .

البلاغة :

في قوله « ورد الذين كفروا بغيظهم ... » الآية فن المناسبة وقد تقدم الإلماع الى هذا الفن وأنه ضربان : مناسبة في المعاني ومناسبة في الألفاظ ، وما ورد في هذه الآية من الضرب الأول لأن الكلام لو اقتصر فيه على دون الفاصلة لأوهم ذلك بعض الضعفاء أن هذا الإخبار موافق لاعتقاد الكفار في أن الريح التي حدثت كانت سبباً في رجوعهم خائبين وكفى المؤمنين قتالهم ، والريح إنما حدثت اتفاقاً كما تحدث في بعض وقائعهم وقتال بعضهم لبعض وظنوا أن ذلك لم يكن من عند الله فوقع الاحتراس بمجيء الفاصلة التي أخبر فيها سبحانه أنه قوي عزيز قادر بقوته على كل شيء ممتنع وأن حزبه هو الغالب وأنه لقدرته يجعل النصر للمؤمنين أفانين متنوعة ليزيدهم إيماناً وتثبيتاً فهو ينصرهم

مرة بالقتـــال كيوم بدر وتارة بالريح كيوم الأحزاب وطوراً بالرعب كبني النضير وأحياناً ينصر عليهم أولاً ويجعل العاقبة لهم أخيراً كيوم أحد وحيناً يريهم أن الكثرة لم تكن ولن تكون كل شيء في المعركة وأنه كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة ليتحققوا بأن النصر إنما هو من عند الله كيوم حنين وهذا من أروع ما يتزين به الكلام •

الفوائـــد :

خلاصة قصة غزوة بني قريظة :

أوحى الله الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب أن الله يأمرك بالمسير الى بني قريظة فأذن في الناس أن من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلي العصر إلا في بني قريظة فما صلى كثير من النـــاس العصر إلا بعــد العشاء الآخــرة فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب فقال لهم النبي : أتنزلون على حكمي ؟ فأبوا ، فقال : أتنزلون على حكم سعد بن معاذ سيد الأوس فرضوا به فحكم فيهم فقـــال : إني أحكم أن تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبى الذراري والنساء • فقال النبي لقد حكمت بحكم الله ثم استنزلهم وخندق في سوق المــدينة خندقاً وقدمهم فضرب أعناقهم وهم من ثمانمائة إلى تسعمائة •

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا
فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَـٰنِسَآءَ
ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَـٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ
وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ * وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ
وَتَعْمَلْ صَـٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَـٰنِسَآءَ
ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ
ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا
تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ
ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ
وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾

اللغـــة :

(ضعفين) : مثنى ضعف بكسر الضاد ، يقال ضعف الشيء مثله في المقدار أو مثله وزيادة غير محصورة فقولهم لك ضعفه يعني

لك مثلاه أو ثلاثة أمثاله أو أكثر ، وفي المصباح : « ضعف الشيء مثله وضعفاه مثلاه وأضعافه أمثاله وقال الخليل التضعيف أن يزاد على أصل الشيء فيجعل مثليه وأكثر وكذلك الأضعاف والمضاعفة ، وقال الأزهري : الضعف في كلام العرب المثل هذا هو الأصل ثم استعمل الضعف في المثل وما زاد وليس للزيادة حد يقال هذا ضعف هذا أي مثله وهذان ضعفاه أي مثلاه ، قال وجاز في كلام العرب أن يقال هذا ضعفه أي مثلاه وثلاثة أمثاله لأن الضعف زيادة غير محصورة فلو قال في الوصية أعطوه ضعف نصيب ولدي أعطي مثليه ولو قال ضعفيه أعطي ثلاثة أمثاله • حتى لو حصل للابن مائة أعطي مئتين في الضعف وثلاثمائة في الضعفين وعلى هذا جرى عرف الناس واصطلاحهم والوصية تحمل على العرف لا على دقائق اللغة » هذا وللضعف بفتح الضاد والضعف بكسرها والضعف بضمها معان نظمها بعضهم بقوله :

في الرأي والعقل يكون الضَّعف
والوهن في الجسم فذاك الضُّعف
زيادة المثل كذا والضِّعف
جمع ضعيف وهو شاكي الضر

(كأحد من النساء) أحد ـ كما يقول الزمخشري ـ في الأصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع في النفي العام مستوياً فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه وردّ عليه آخرون فقالوا : أما قوله أحد في الاصل بمعنى وحد وهو الواحد فصحيح وأما قوله وما وراءه فليس بصحيح لأن الذي يستعمل في النفي العام مدلوله غير مدلول

واحد لأن واحداً يطلق على كل شيء اتصف بالوحدة واحد المستعمل في النفي العـام مختص بمن يعقـل وأيضاً فيفرق بينهما بأن المختص بالنفي جامد وهـذا وصف وأيضاً المختص بالنفي مختص بالعقـلاء وهذا لا يختص وأما معنى النفي فإنه ظاهر عـلى ما قاله الزمخشري على المجموع •

وفي الاتقان : قال أبو حاتم : أحد اسم أكمل من الواحد ، ألا ترى أنك إذا قلت فلان لا يقوم له واحـد جاز في المعنى أن يقوم له اثنان بخلاف قولك : لا يقوم له أحد وفي الأحد خصوصية ليست في الواحد تقول ليس في الدار أحد فيكون قد شمل عموم المخلوقين من الدواب والطير والوحش والإنس فيعم الناس وغيرهم بخلاف قولك ليس في الدار واحد فإنه مخصوص بالآدميين دون غيرهم قال : ويأتي الأحد في كلام العرب بمعنى الواحـد فيستعمل في الإثبات والنفي نحو « قل هو الله أحد » أي واحد و : « أيحسب أن لن يقدر عليه أحد » و « فما منكم من أحد » ولا فضل لأحد على أحد • وأحـد يستعمل في المـذكر والمؤنث قال تعالى : « لستن كأحد من النساء » بخلاف الواحد فلا يقال كواحد من النساء بل كواحدة • قلت : ولهذا وصف به في قوله تعـالى « فما منكم من أحد عنه حاجزين » بخلاف الواحد والأحد له جمع من لفظه وهو الأحدون والآحاد وليس للواحد جمـع من لفظـه فلا يقـال واحدون بل اثنان وثلاثة والأحد ممتنع الدخول في الضرب والعدد والقسمة وفي شيء من الحساب • بخلاف الواحـد •

(وقرن في بيوتكن) : من القرار أي الثبات وأصله اقررن بكسر الراء وفتحها من قررت بفتح الراء وكسرها نقلت حركة الراء الى القاف

وحذفت مع همزة الوصل . وفي القاموس : « وقر بالمكان يقر بالكسر والفتح قراراً وقروراً وقرّاً وتقِرّة ثبت وسكن كاستقرّ » .

(تبرجن) : بترك إحدى التاءين وأصله تتبرجن أي تتبخترن في مشيكن . وفي القاموس : « تبرجت المرأة : أظهرت زينتها ومحاسنها للأجانب » .

(الجاهلية) : حالة الجهل والوثنية في بلاد العرب قبل الاسلام أو الزمن الذي تقدمه وسيأتي المزيد من بحث الجاهلية الأولى في باب الفوائد .

الاعراب :

(يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها) كلام مستأنف مسوق لتقرير موقف الاسلام من أزواج النبي والمرأة عامة . وقل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت ولأزواجك متعلق بقل وستأتي أسماء أزواج النبي في باب الفوائد وإن شرطية وكنتن فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسمها والنون علامة التأنيث والتخيير لسبر أغوار نفوسهن حتى إذا اخترن الدنيا فارقهن وجملة تردن خبر كان والنون فاعل والحياة الدنيا مفعول به وزينتها عطف على الحياة . (فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً) الفاء رابطة لجواب الشرط لأنه أتى جملة طلبية وتعالين فعل أمر مبني على السكون والنون فاعل وأمتعكن مجزوم لأنه جواب الطلب وأسرحكن عطف على أمتعكن وسراحاً مفعول مطلق وجميلاً صفة وهذا أولى من القول بأن أمتعكن جزم لأنه جواب الشرط وما بين الشرط وجزائه

معترض • (وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً) الواو عاطفة وإن شرطية وكنتن فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسمها وجملة تردن خبرها والنون فاعل تردن والله مفعول به ورسوله عطف عليه والدار الآخرة عطف أيضاً والفاء رابطة وان واسمها وجملة أعد للمحسنات خبرها ومنكن حال وأجراً مفعول به وعظيماً صفة •

(يا نساء النبي مَن يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين) يا حرف نداء ونساء النبي منادى مضاف ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ويأت فعل الشرط وعلامة جزمه حذف حرف العلة ومنكن حال وبفاحشة متعلقان بيأت ويضاعف جواب الشرط مجزوم وعلامة جزمه السكون ولها متعلقان بيضاعف والعذاب نائب فاعل ليضاعف وضعفين مفعول مطلق • (وكان ذلك على الله يسيراً) الواو حالية أو استئنافية وكان واسمها وعلى الله متعلقان بيسيراً ويسيراً خبر كان • (ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين) عطف على ما تقدم وهو مماثل لما قبله في إعرابه وأجرها مفعول به ثان لنؤتها ومرتين نصب على المفعولية المطلق أو الظرفية الزمانية • (وأعتدنا لها رزقاً كريماً) الواو عاطفة وأعتدنا فعل ماض وفاعل ولها متعلقان بأعتدنا ورزقاً مفعول به وكريماً صفة • (يا نساء النبي لستنّ كأحد من النساء إن اتقيتن) لستن : ليس والتاء اسمها والنون علامة جمع الإناث وكأحد خبر لستن ومن النساء صفة لأحد وإن شرطية واتقيتن فعل ماض وفاعله وهو في محل جزم فعل الشرط والجواب محذوف يدل عليه ما قبله أي فانكن أعظم ويكون قوله : (فلا تخضعن بالقول) مستأنفاً لتعليل نهي المساواة ويجوز أن

تكون الفاء رابطة وجملة لا تخضعن في محل جزم جواب الشرط وبالقول حال أو متعلقان بتخضعن •

(فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً) الفاء للسببية ويطمع فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية المسبوقة بالنهي والذي فاعل يطمع وفي قلبه متعلقان بمحذوف خبر مقدم ومرض مبتدأ مؤخر والجملة صلة وقلن الواو عاطفة وقلن فعل أمر والنون فاعل وقولاً مفعول مطلق مبين للنوع ومعروفاً صفة • (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) عطف على ما تقدم وقرن فعل أمر وقد تقدم في باب اللغة وفي بيوتكن متعلقان به ولا تبرجن نهي وتبرج الجاهلية مفعول مطلق والأولى نعت للجاهلية • (وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله) عطف على قرن في بيوتكن • (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) إنما كافة ومكفوفة ويريد الله فعل مضارع وفاعل وليذهب اللام للتعليل ويذهب فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام وجملة إنما يريد تعليل لجميع ما تقدم والجار والمجرور أي ليذهب متعلقان بيريد وعنكم متعلقان بيذهب والرجس مفعول به وأهل البيت نصب على الاختصاص للمدح أي أخص أهل البيت ولك أن تجعله منادى محذوف الأداة أو على البدل من الكاف ، واعترضه المبرد بأنه لا يجوز البدل من المخاطب ، ويطهركم عطف على يذهب وتطهيراً مفعول مطلق •

الفوائد :

١ ـ أراجيف المغرضين عن تعدد أزواج النبي :

سيطول بنا القول في هذا الصدد لأنه أثار شكوكاً لدى

المغرضين وأصحاب الهوى من المستشرقين والمشهرين بالاسلام ، فقد قالوا في معرض افتراءاتهم وأراجيفهم إن تعـدد زوجات النبي مناف لشمائل النبوة ومخالف لما ينبغي أن يتسم به أصحاب الدعوة وهداة الأرواح ، وقال بعض المستشرقين ما نصه بالحرف : إن تسع زوجات لدليل على فرط الميول الجنسية ، ونسوا أو تناسوا أنه لا غضاضة على العظيم أن يحب المرأة ويشعر بمنتها وما من فطرة هي أعمق في طبائع الأحياء عامة من فطرة الجنسين والتقاء الذكر والأنثى ، نعم قد تكون الغضاضة إذا طغى هـذا الحب حتى أخرج العظيـم عن سواء السبيل وشغله عما هو معني به من هداية وليس أبعد به صلى الله عليه وسلم عن الاستسلام لنزوات اللذة الجنسية من أنه أوشك أن يطلق نساءه أو يخيرهن في الطلاق لأنهن طلبن إليه المزيد من النفقة ، حدث التاريخ أن أبا بكر ذهب إليه يوماً يستأذن عليه فوجد الناس جلوساً لا يؤذن لأحد منهم ثم دخل أبو بكر وعمر من بعده فوجد النبي جالساً حوله نساؤه واجماً ساكتاً فأراد أبو بكر أن يقول شيئاً يسرّي عنه فقال : يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة !! سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها فضحك النبي وقال : هن حولي ، كما ترى ، يسألنني النفقة ، فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها ، وقام عمر الى حفصة يجأ عنقها ، ويقولان : تسألن رسال الله ما ليس عنـده ؟ فقلن : والله لا نسأل رسـول الله شيئاً ليس عنـده ، ثم اعتزلهن الـرسول شهراً أو تسعة وعشرين يوماً نزلت بعـدها الآية التي فيهـا التخيير وهي « يا أيها النبي قل لأزواجك » الآية . فبدأ الرسول بعائشة فقال لها : يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمراً أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك ، قالت : وما هو يا رسول الله ؟ فتـلا عليها الآية ، قالت : أفيك يارسول الله أستشير أبوي ؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة ، ثم خيّر نساءه كلهن فأجبن كما أجابت عائشة وقنعن بما هن

فيه من معيشة كان كثير من زوجات المسلمين يظفرن بما هو أنعم منها فعلام يدل هذا ؟ لو شاء النبي لأغدق عليهن النعمة ولأغرقهن بتهاويل الزينة وتعاجيب الحلي وأطايب اللذات ، وهل هذا الصدوف عن ذلك فعل مستسلم للذات الحسية المتهالك على حب النساء ؟ ولما بنى بأولى زوجاته ـ خديجة ـ لم تكن لذات الحسن هي التي سيطرت على هذا الزواج ولا الباعثة عليه لأنه نبى بها وهي في نحو الاربعين وهو في نحو الخامسة والعشرين ونيف على الخمسين وأوتي الفتح المبين وليس له من زوجة غيرها ولم تبدر عنه أية رغبة في الزواج بأخرى .

قالت له عائشة مرة : هل كانت خديجة إلا عجوزاً بدلك الله خيراً منها فقال لها مغضباً : لا والله ما أبدلني الله خيراً منها : آمنت بي إذ كفر الناس وصدقت إذ كذبني الناس وواستني بمالها إذ حرمني الناس ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء .

ولو كانت لذات الحسن هي التي سيطرت على زواج النبي بعد بعد وفاة خديجة لكان الأحجى بإرضاء هذه اللذات أن يجمع إليه تسعاً من الفتيات الأبكار اللائي اشتهرن بفتنة الجمال في مكة والمدينة وشبه الجزيرة العربية فيسرعن إليه راضيات فخورات وأولياء أمورهن أرضى منهن وأفخر بهذه المصاهرة التي لا تسمو إليها مصاهرة ، بيد أن محمداً لم يتزوج بكراً قط غير عائشة ولم يكن زواجه بها مقصوداً في بداية الأمر حتى رغبته فيه خولة بنت حكيم التي عرضت عليه الزواج بعد وفاة خديجة .

قالت عائشة : لما توفيت خديجة قالت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون للنبي : أي رسول الله ألا تتزوج ؟ قال : من ؟

قالت : إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً قال : فمن البكر ؟ قالت : بنت أحبّ الناس إليك عائشة بنت أبي بكر قـــال : فمن الثيب ؟ قالت : سودة بنت زمعة آمنت بك واتبعتك •

ثم كانت سودة هي أولى النساء اللاتي بنى بهن بعد وفاة خديجة وكان زوجها الأول ــ ابن عمها ــ قد توفي بعد رجوعــه من الهجرة الى الحبشة وكانت هي من أسبق النساء الى الإســلام فآمنت وهجرت أهلها ونجا بها زوجهــا الى الحبشة فراراً من إعنات المشركين له ولها فلما مات لم يبق لها إلا أن تعود الى أهلهــا فتصبأ وتؤذى أو تتزوج بغير كفء فضمها النبي إليه حماية لها وتأليفاً لأعدائه من آلها وكان غير هذا الزواج أولى به لو نظر الى لذات حسن ومال الى متاع •

وكان للنبي زوجة أخرى اتسمت بالوضاءة والحداثة والغضاضة وهي زينب بنت جحش ابنة عمته التي زوجها زيداً بن حارثة بأمره وعلى غير رضى منهــا لأنها أنفت ــ وهي ما هي في الحسب والقرابة الى رسول الله ــ من أن يتزوجها غلام عتيق ، هذه أيضاً لم يكن للذات الحسن سلطان في بناء النبي بها بعد تطليق زيد إياها وتعذر التوفيق بينهما وستأتي قصتها كاملة مدعومة بالتحليل التام لها •

أما سائر زوجاتــه فما من واحــدة منهن إلا كان لزواجه بهن سبب من المصلحة العامة •

إجمال أسماء زوجاته :

قال ابن الكلبي : إن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج خمس عشرة امرأة ودخل بثلاث عشرة وجمع بين احدى عشرة وتوفي عن تسع فأولهن خديجة

بنت خويلدوكانت قبله تحت عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ومات عنهـا وتزوجها بعـده أبو هالة بن زرارة بن النباش التميمي فولدت له هند ثم مات عنها وتزوجها بعده النبي فولدت له ثمانية : القاسم والطيب والطاهر وعبد الله وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة . فأما الذكور فماتوا وهم صغار وأما الإناث فبلغن ونكحن وولـدن ولم يتزوج على خديجة أحداً وكان موتها قبـل الهجرة بثلاث سنين ، ثم بعدها سودة بنت زمعة وقيل عائشة وكانت بنت ست سنين فدخل بها في المدينة وهي ابنة تسع ومات عنها وهي ابنة ثماني عشرة وماتت سنة ثمان وخمسين ، وأما سودة فكانت امرأة ثيباً وكانت قبله عنـد السكران بن عمرو بن عبد شمس ومات عنها فخلف عليها رسول الله ودخل بها بمكة ، ثم تزوج بعدها حفصة بنت عمر بن الخطاب وكانت قبله تحت خنيس بن حـذافة السهمي وكان بدرياً وماتت بالمـدينة في خلافة عثمان ، ثم تزوج بعـدها أم سلمـة ابنة أبي أمية المخزومية وكانت قبله تحت أبي سلمـة بن عبد الأسـد المخزومي شهـد بدراً وأصابته جراحة يوم أحد فمات عنها فتزوجها رسول الله قبل الأحزاب، ثم تزوج زينب بنت خزيمـة من بني عامر بن صعصعة ويقـال لها أم المساكين وتوفيت في حياته ولم يمت غـيرها وغـير خديجة في حياته وكانت زينب قبله تحت الطفيل بن الحارث بن عبد المطلب ، ثم تزوج جورية ابنة الحارث بن أبي ضرار الخزاعية من بني المصطلق وكانت تحت مالك بن صفوان ، ثم تزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب وكانت قبله تحت عبد الله بن جحش وكان من مهاجرة الحبشة فتنصر ومات بها فأرسل رسول الله الى النجاشي فخطبها عليه وتزوجها وهي بالحبشة وساق النجاشي المهر لها عن رسول الله وماتت في خلافة أخيها معاوية ، ثم تزوج زينب بنت جحش (وستأتي قصتها) ثم تزوج عام

خيبر صفية بنت حيي بن أخطب ، ثم تزوج ميمونة ابنة الحارث الهلالية وكانت قبله تحت عمير بن عمرو الثقفي فمات عنها وخلف عليها أبو زهير بن عبد العزى ثم رسول الله وهي خالة ابن عباس وخالد بن الوليد ، ثم تزوج امرأة من بني كليب يقال لها شاة بنت رفاعة وقيل سنابنت الصلت وقيل ابنة الصلت بن حبيب توفيت قبل أن يدخل بها وقيل الشنباء دخل بها ومات ابنه ابراهيم فقالت لو كان نبياً ما مات ولده فطلقها ، ثم تزوج غزية بنت جابر الكلابية ، قال ابن الكلبي : غزية هي أم شريك فلما قدمت على النبي وأراد أن يخلو بها استعاذت منه فردها ، ثم تزوج العالية ابنة ظبيان فجمعها ثم فارقها ، ثم تزوج قتيلة ابنة قيس أخت الأشعث فتوفي عنها قبل أن يدخل بها فارتدت ، ثم تزوج فاطمة ابنة الضحاك وقيل تزوج خولة ابنة الهذيل بن هبيرة ، وليلى ابنة الحطيم عرضت نفسها عليه فتزوجها وفارقها .

قال ابن الكلبي : أما من خطب النبي من النساء ولم ينكحها فأم هانيء بنت أبي طالب خطبها ولم يتزوجها وضباعة ابنة عامر من بني قشير وصفية بنت بشامة الأعور العنبري وأم حبيبة ابنة عمه العباس فوجد العباس أخاً له من الرضاعة فتركها وجمرة ابنة الحارث ابن أبي حارثة خطبها فقال أبوها بها سوء ولم يكن بها وجع فرجع اليها فوجدها قد برصت .

وأما سراريه فمارية ابنة شمعون القطبية ولدت له ابراهيم وريحانة ابنة زيد القرظية وقيل هي من بني النضير وأخرى وهبتها له زينب بنت جحش واسمها نفيسة والرابعة أصابها في بعض السبي ولم يعرف اسمها .

وفي المواهب رواية أخرى تختلف فيه الاسماء بعض الاختلاف ويطول بنا القول لو نقلناها فليرجع اليها من يشاء •

وكان إعزاز من ذلوا بعد عزة سنة النبي في معاملة جميع الناس ولا سيما النساء اللاتي تنكسر قلوبهن في الذل بعد فقد الحماة والأقربين ، ولهذا خيّر صفية الإسرائيلية سيدة بني قريظة بين أن يلحقها بأهلها وأن يعتقها ويتزوج بها فاختارت الزواج منه •

هذا وتتكشف لنا مراجعة الحياة الزوجية لمحمد عليه الصلاة والسلام عن أسباب حفزته الى الزواج بهن واستجماع لهذا العدد منهن ولا حرج على رجل قويم الفطرة أن يلتمس المتعة في زواجه ، ولكن الواقع أن المتعة لم تكن قط مقدّمة في الاعتبار عند نظر النبي في اختيار واحدة من زوجاته قبل الدعوة أو بعدها أو بعد تجاوز الكهولة وانما كان الاختيار كله على حسب حاجتهن إلى الإيواء الشريف أو على حسب المصلحة الكبرى التي تقضي باتصال الرحم بينه وبين سادات العرب وأساطين الجزيرة من أصدقائه وأعدائه لا استثناء في هذه الخصلة لزوجة واحدة بين جميع زوجاته حتى التي بنى بها فتاة بكراً موسومة بالجمال وهي السيدة عائشة •

٢ ـ الجاهليّة الأولى :

اختلف الناس في الجاهلية الأولى وأصح ما قيل أنهما جاهليتان أولى وأخيرة ؛ فالأولى هي القديمة ويقال لها الجاهلية الجهلاء وهي تمتد الى أبعد الآماد والجاهلية الأخيرة تمتد من منتصف القرن الخامس الميلادي ، وفي الجاهلية الأولى كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشي في منتصف الطريق تعرض نفسها على الرجال فنهين عن ذلك •

وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ
وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ
وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ
كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ
لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ
مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ
تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ
اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ۖ فَلَمَّا
قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ
فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾

الاعراب :

(واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) الواو عاطفة

واذكرن فعل أمر والنون فاعل وما مفعول به وجملة يتلى صلة ويتلى فعل مضارع مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر يعود على ما وفي بيوتكن متعلقان بيتلى ومن آيات الله حال والحكمة عطف على آيات الله .

(إن الله كان لطيفاً خبيراً) ان واسمها وجملة كان خبرها واسم كان مستتر يعود على الله ولطيفاً خبرها الأول وخبيراً خبرها الثاني .

(إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً) كلام مستأنف مسوق لخطاب النساء بما يخاطب به الرجال من شئون الهداية والتعليم السامية فقد قالت أزواج النبي إن الله ذكر الرجال في كتابه ولم يذكر النساء بخير فنزلت . وان واسمها وما بعدها عطف على الاسم الى قوله والذاكرات وليس فيها ما يستدعي التنبيه سوى قوله فروجهم فهو مفعول به للحافظين وكذلك قوله والذاكرين الله فلفظ الجلالة مفعول به للذاكرين وجملة أعد خبر إن والله فاعل أعد ولهم متعلقان بأعد وأجراً مفعول أعد وعظيماً صفة .

(وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) الواو استئنافية والكلام مسوق للشروع في قصة عبد الله بن جحش وأخته زينب وزيد بن حارثة وسيأتي بحث مسهب عنها في باب الفوائد . وما نافية وكان فعل ماض ناقص ولمؤمن خبر كان المقدم ولا مؤمنة عطف على لمؤمن وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وقضى الله ورسوله صلة والجواب محذوف يدل عليه النفي المتقدم ولك أن تجعل إذا للظرفية المحضة فتتعلق بالاستقرار الذي

تعلق به خبر كان وأن يكون مصدر مؤول هو اسم كان ولهم خبر يكون المقدم والخيرة اسمها المؤخر وذكر يكون لأن المؤنث مجازي وقرىء بالتاء ومن أمرهم حال من الخيرة والخيرة مصدر تخير كالطيرة من تطير وجمع الضمير في أمرهم وفي لهم لوقوعهما في سياق النفي وقد تقدم أن النكرة إذا وقعت في سياق النفي دلت على العموم ليشمل كل مؤمن ومؤمنة كما غلب المذكر على المؤنث . (ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً) الواو عاطفة ومن شرطية مبتدأ ويعص فعل الشرط مجزوم بحذف حرف العلة وفاعل يعص مستتر تقديره هو يعود على من ولفظ الجلالة مفعول به ورسوله عطف عليه والفاء رابطة للجواب لأنه اقترن بقد وضل فعل ماض وفاعله مستتر أيضاً وضلالاً مفعول مطلق ومبيناً صفة .

(وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله) عطف على ما سبق وإذ ظرف لما مضى متعلق باذكر مقدراً وجملة تقول في محل جر بإضافة الظرف اليها وللذي متعلقان بتقول وجملة أنعم الله عليه صلة وأنعمت عليه عطف على الصلة وجملة أمسك مقول القول وعليك متعلقان بمحذوف حال كما قيل في اللام في سقياً لك وإما متعلقان بأمسك على حذف مضاف أي أمسك على نفسك وزوجك مفعول به واتق الله عطف على أمسك . (وتخفي في نفسك ما الله مبديه) الواو واو الحال أو للعطف وفي نفسك متعلقان بتخفي وما مفعول به والله مبتدأ ومبديه خبر والجملة صلة ما . (وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) الواو حالية أو عاطفة أيضاً وتخشى الناس فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به والواو عاطفة أو حالية والله مبتدأ وأحق خبر وأن وما في حيزها مصدر مؤول في محل رفع بدل اشتمال من

اسم الله وقد تقدم هذا الاعراب في سورة التوبة ونزيد هنا أنه يجوز أن يكون منصوباً بنزع الخافض متعلق بأحق واختار أبو البقاء وجهاً ثالثاً وهو أن يكون أن تخشوه مبتدأ وأحق خبره مقدم عليه والجملة خبر عن اسم الله •

(فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها) الفاء استئنافية ولما ظرفية حينية أو رابطة متضمنة معنى الشرط وقضى زيد فعل وفاعل ومنها متعلقان بقضى ووطراً مفعول به وزوجناكها فعل ماض وفاعل والكاف مفعول به أول والهاء مفعول به ثان والجملة لا محل لها • وقضاء الوطر في اللغة بلوغ منتهى مافي النفس من الشيء • (لكيلا يكون على المؤمنين من حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً) اللام حرف جر للتعليل وكي حرف مصدري ويكون فعل مضارع منصوب بكي والمصدر المؤول في محل جر باللام والجار والمجرور متعلقان بزوجناكها على أنه تعليل للتزويج وعلى المؤمنين خبر يكون المقدم وحرج اسمها المؤخر وفي أزواج أدعيائهم صفة لحرج • (وكان أمر الله مفعولاً) كان واسمها وخبرها والجملة معترضة أو معطوفة على ما تقدم •

الفوائد :

وعدناك ببسط القول في قصة زواج زيد بن حارثة بزينب بنت جحش وبراً بالوعد ودحضاً للأراجيف التي أثارها المتشككون والذين في قلوبهم مرض وهوى نقول : تقدم القول في ترجمة زيد بن حارثة وأن النبي صلى الله عليه وسلم زوجه زينب بنت جحش وكان قد خطبها عليه فكره عبدالله وزينب ذلك لظنهما قبل ذلك أن النبي خطبها لنفسه ثم

رضيا فأنكحها إياه وساق عنه إليها مهرها ستين درهماً وخماراً وملحفة ودرعاً وإزاراً وخمسين مداً من طعام وثلاثين صاعاً من تمر كما يروى ، فمن الجدير بالملاحظـة أن زينب كانت بنت عمة النبي وربيت تحت نظره وشملها من عنايته ما يشمل ابنت من والدها ولو كان للجمال سلطان على قلبه صلى الله عليه وسلم كما يزعم المتشككون لكان أقوى سلطانه عليه جمال البكر في روائه ونضرة جدته وقد كان يراها ولم يكن بينه وبينها حجاب ولا يخفى عليه شيء من محاسنها الظاهرة بيد أنه لم يرغبهـا لنفسه ورغبها لمولاه فكيف يستهويه جمالها ويصيبه سهم حبها بعد أن صارت زوجاً لعبد أعتقه وأنعم عليه بالحرية ؟

هذا ولم يعرف في الطبائع أن تغلب الشهوة على الانسان حتى يعشق من هو قريب منه أو من عايشه في صغره ؛ فكيف يسوغ لنا أن ندعي وجود هذه الشهوة في رجل عرف بالعفة والاستقامة طوال عمره وصوت الله يهتف في أذنه : « ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا » بل كيف يسمح لنفسه بالانزلاق الى هذه الوهـدة السحيقة وهو يتهيـأ لبث رسالة ونشر تعاليم دين جديد يتغاير مع مألوف قومه ويهـدم ما ألفوه من عادات وترسموه من تقشف وطقوس ؟

الواقع أنه ، صلى الله عليه وسلم ، لم يبال بإباء زينب الاقتران بزيد ورغبتها عنـه ، وقد كان يعلم حق العلم ، أن زواجـاً يقوم على التنافر أمر يفقد طبيعة الانسجام بين الزوجين التي لا بد منها ليسود الوئام بينهما وتستقر الحياة الزوجية على أوطد الدعائم ، ولكنه أراد تنفيذ أمر الله في محو عـادة جاهلية رديئة درج عليهـا العرب آنذاك وهي إعطاء الدعي جميع حقوق الابن واجراء جميع الاحكام المعتبرة للابن

عليه وله حتى في الميراث وحرمة النسب وقد تقدم قوله تعالى بهـذا الصدد ناعياً عـلى العرب ما كانوا يدينون به : « ما جعـل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل » وليس أحد أجدر من النبي يختصه الله بهـذا التكليف الذي يبطل تلك العادة ويحمل العرب على التقصي منها ، فعمد بوحي منه تعالى الى خرق هذه العادة وإبطالها فأرغم زينب أن تتزوج بزيد وهو مولاه وصفيه تمهيـداً لإقامة شرع جـديد وتنفيذ حكم إلهي لا محيد عن تنفيذه ، وبعـد أن صارت زينب الى زيـد لم يسلس قيادها ولم يلن إباؤها بل شمخت عليه وتعالت ، وتعمدت إيلام قلب زوجها ، بالتعالي عليه في النسب والحرية فاشتكى زيد ذلك الى النبي المرة بعـد المرة والنبي في خلقه السمح وسجاياه الطاهرة يهدهد من آلام زيد ويقول له « أمسك عليك زوجك واتق الله » إلى أن أتى أمر الله وغلب على ذلك كله فسمح لزيـد بطلاقهـا بعـد أن استحال جو البيت جحيماً لا يطاق كما قال تعالى « لكيما يكون على المؤمنين من حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً » وأكد ذلك كما يأتي ، بقوله : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكـم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً » .

وعلى هذا النحو يمكن القول بصورة جازمة أن الله تعالى ذكر نبيه بما وقع منه ليزيده تثبيتاً على الحق وليدفع عنه ما حاك في صدور ضعاف العقول فقال : « وإذ تقول للـذي أنعـم الله عليه » بالاسلام « وأنعمت عليه » بالعتق والحرية والاصطفاء بالولاية والمحبة وتزويجه بنت عمتك وتعظه عندما كان يشكو اليك من إيذاء زوجه : « أمسك عليك زوجك واتق الله » واخشه في أمرها فإن الطلاق يشينها وقـد

يؤذي قلبها وارع حق الله في نفسك أيضاً فربما لا تجد بعدها خيراً منها ، تقول ذلك وأنت تعلم أن الطلاق أمر لا بد منه لما ألهمك الله أن تمتثل أمره بنفسك لتكون أسوة حسنة لمن معك ولمن يأتي بعدك وإنما غلبك في ذلك الحياء وخشية أن يقولوا : تزوج محمد مطلقة متبناه فأنت في هذا « تخفي في نفسك ما الله مبديه » من الحكم الذي ألهمك « وتخشى الناس والله » الذي أمرك بذلك كله « أحق أن تخشاه » فكان عليك أن تمضي في الأمر من أول وهلة تعجيلاً بتنفيذ كلمته وتقرير شرعه ثم زاده بياناً بقوله : « فلما قضى زيد منها وطراً » أي حاجة بالزواج « زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً » لترتفع الوحشة من نفوس المؤمنين ولا يجدوا في أنفسهم حرجاً من أن يتزوجوا نساء كنَّ من قبل زوجات لأدعيائهم « وكان أمر الله مفعولاً » .

هذا هو التعليل الصحيح ، والتفسير القويم ، لهذه القصة وأما ما رووه من أن النبي مرَّ ببيت زيد وهو غائب فرأى زينب فوقع منها في قلبه شيء فقال : سبحان مقلب القلوب فسمعت زينب التسبيحة فنقلتها إلى زيد فوقع في قلبه أن يطلقها إلى آخر هذا الهراء الذي يترفع النبي عنه فقد فنده المحققون من العلماء وقال الإمام أبو بكر بن العربي : انه لا يصح وان الناقلين له المحتجين به على مزاعمهم في فهم الآية لم يقدروا مقام النبوة حق قدره ، ولم تصب عقولهم من معنى الصحة كنهها ، وأطال ابن العربي في ذلك إلى أن يقول: « فأما قولهم أن النبي صلى الله عليه وسلم رآها فوقعت في قلبه فباطل فإنه كان معها في كل وقت وموضع ولم يكن حينئذ حجاب فكيف تنشأ معه وينشأ معها ويلحظها في كل ساعة ولا تقع في قلبه إلا إذا كان لها

زوج وفد وهبته نفسها وكرهت غيره فلم يخطر ذلك ببانه ، فكيف يتجدد هوى لم يكن ؟ حاشا لذلك القلب المطهَّر من هذه العلاقة الفاسدة وقد قال سبحانه « ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه » والنساء أفتن الزهرات وأنشر الرياحين ؟ ولم يخالف هذا في المطلقات فكيف في المنكوحات المحبوسات » إلى أن يقول : « فإن قيل لأي معنى قال له : أمسك عليك زوجك وقد أخبره الله أنها زوجته ؟ قلنا أراد أن يختبر منه ما لم يعلمه الله به من رغبته فيها أو رغبة عنها فأبدى له زيد من النفرة عنها والكراهة فيها ما لم يكن علمه منه في أمرها ، فإن قيل كيف يأمره بإمساكها وقد علم أن الفراق لا بدَّ منه وهذا تناقض ؟ قلت : بل هو صحيح للمقاصد الصحيحة كإقامة الحجة ومعرفة العاقبة ، ألا ترى أن الله يأمر العبد بالإيمان وقد علم أنه لا يؤمن فليس في مخالفة متعلق الأمر لمتعلق العلم ما يمنع من الأمر به عقلاً وحكماً وهذا من نفيس العلم فاقبلوه » .

قال الترمذي الحكيم في نوادر الأصول : « إنما عتب الله عليه من أجل أنه قد أعلمه بأنه ستكون هذه من أزواجك فكيف قال بعد ذلك لزيد أمسك عليك زوجك وأخذتك خشية الناس أن يقولوا تزوج زوجة ابنه والله أحق أن تخشاه » . وقال النحاس : « قال بعض العلماء ليس هذا من النبي صلى الله عليه وسلم خطيئة ، ألا ترى أنه لم يؤمر بالتوبة ولا بالاستغفار وقد يكون الشيء ليس بخطيئة إلا أن غيره أحسن منه وأخفى ذلك في نفسه خشية أن يفتتن به الناس » وروي عن علي بن الحسين أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد أوحى الله إليه أن زيداً يطلق زينب وأنه يتزوجها بتزويج الله إياها فلما شكا

زيد للنبي صلى الله عليه وسلم خلق زينب وانها لا تطيعه وأعلمه بأنه يريد طلاقها قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على جهة الأدب والوصية : اتق الله في قولك وأمسك عليك زوجك وهذا هو الذي أخفى في نفسه وخشي رسول الله أن يلحقه قول من الناس في أن يتزوج زينب بعد زيد وهو مولاه لو أمره بطلاقها فعاتبه الله على هذا القدر من أن خشي الناس في شيء قد أباحه الله تعالى وأعلمه أن الله أحق بالخشية » .

وقال الأستاذ الإمام محمد عبده : « أما والله لولا ما أدخل الضعفاء والمدلسون من مثل هذه الرواية ما خطر ببال مطلع على الآية الكريمة شيء مما يرمون إليه فإن نص الآية ظاهر جلي لا يحتمل معناه التأويل ولا يذهب إلى النفس منه إلا أن العتاب كان على التمهل في الأمر والتريث به وان الذي كان يخفيه في نفسه هو ذلك الأمر الإلهي الصادر إليه بأن يهدم تلك السعادة المتأصلة في نفوس العرب وأن يتناول المعول لهدمها بنفسه كما قدر له أن يهدم أصنامهم بيده لأول مرة عند فتح مكة وكما هو شأنه في جميع ما نهى عنه من عاداتهم وهذا الذي كان يخفيه في نفسه كان الله مبديه بأمره الذي أوحاه إليه في كتابه وبتزويجه زوجة من كانوا يدعونه ابناً له ولم يكن يمنعه من من ابداء ما أبدى الله إلا حياء الكريم وتؤدة الحليم مع العلم بأنه سيفعل لا محالة لكن مع معاونة الزمان » .

مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ

ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴿٣٩﴾
مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ
وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٤٠﴾

الاعراب :

(ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له) استئناف مسوق لنفي الحرج عنه صلى الله عليه وسلم في زواجه بزينب وهي امرأة زيد الذي تبناه وما نافية وكان فعل ماض ناقص وعلى النبي خبر كان المقدم ومن حرف جر زائد وحرج مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه اسم كان المؤخر وفيما صفة لحرج وجملة فرض الله صلة لما • (سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً) سنة الله اسم موضوع موضع المصدر لأن السنة بمعنى الطريقة والسيرة وتأتي أيضاً بمعنى الطبيعة والشريعة والوجه أو دائرته ، وهذا ما جنح إليه الزمخشري في إعرابه واختار غيره أن يكون نصباً على المصدر أو على نزع الخافض أي كسنة الله في الأنبياء الذين من قبل وسيأتي مزيد من القول في هذا الصدد في باب الفوائد ، وفي الذين متعلقان بمحذوف حال أي متبعة وجملة خلوا صلة الذين ومن قبل متعلقان بخلوا وكان أمر الله كان واسمها وقدراً خبرها ومقدوراً صفة لازمة للتأكيد كيوم أيوم وليل أليل وظل ظليل • (الذين يبلغون رسالات الله) الذين لك أن تجعلها صفة للأنبياء أي في الأنبياء الذين خلوا من قبل والذين يبلغون رسالات الله ولك أن تقطعها فتعربها خبراً لمبتدأ محذوف أي هم الذين وجملة يبلغون صلة ورسالات الله مفعول يبلغون •

(ويخشونـه ولا يخشون أحـداً إلا الله وكفى بالله حسيباً) ويخشونه فعل مضارع وفاعـل ومفعول به ولا نافية ويخشون فعل مضارع وفاعل وإلا أداة حصر ولفظ الجلالة مفعول يخشون وكفى فعل ماض والباء حرف جر زائد والله فاعل كفى محلاً وحسيباً تمييز أو حال • (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) ما نافية وكان محمد كان واسمها وأبا أحد خبرها ومن رجالكم صفة لأحـد • (ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً) الواو عاطفة ولكن حرف استدراك مهمل لأنه خفف ، ورسول الله عطف على أبا أحد أو نصب على تقدير كان لدلالة كان السابقة عليها أي ولكن كان رسول الله ، وخاتم النبيين عطف على رسول الله ، والخاتم هو الطابع بفتح التاء وكسرها وكان واسمها وخبرها وبكل شيء متعلقان بعليماً •

البلاغـة :

في قوله « ما كان محمـد أبا أحـد من رجالكـم » الآية فن التلفيف ، وفي محيط المحيط : التلفيف عند البلغاء هو التناسب وهو عبارة عن إخراج الكلام مخرج التعليم بحكم أو أدب لم يرد المتكلم ذكره وإنما قصد ذكر حكم داخل في عموم الحكم المذكور الذي صرح بتعليمه ، وأوضح من هذا أن يقال انه جواب عام عن نوع من أنواع جنس تدعو الحاجة الى بيانها كلها فيعدل المجيب عن الجواب الخاص عما سئل عنه من تبيين ذلك النوع الى جواب عام يتضمن الابانة على الحكم المسئول عنه وعن غيره مما تدعو الحاجة الى بيانه فإن قولـه : « ما كان محمد ••• الخ » جواب عن سؤال مقدر وهو قول قائل : أليس محمداً أبا زيد بن حارثة ؟ فأتى الجواب يقول : ما كان محمد

أبا أحد من رجالكم ، وكان مقتضى الجواب أن يقول : ما كان محمد أبا زيد وكان يكفي أن يقول ذلك ولكنه عـدل عنه ترشيحاً للإخبار بأن محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ولا يتم هذا الترشيح إلا بنفي أبوته لأحد من الرجال فإنه لا يكون خاتم النبيين إلا بشرط أن لا يكون له ولد قد بلغ فلا يرد أن له الطاهر والطيب والقاسم لأنهم لم يبلغوا مبلـغ الرجال ثم احتاط لـذلك بقوله من رجالكم فأضافه الرجال إليهم لا إليه فالتف المعنى الخاص في المعنى العام وأفـادَ نفي الأبوة الكلية لأحد من رجالهم وانطوى في ذلك نفي الأبوة لزيد ثم ان هناك تلفيفاً آخر وهو قوله ولكن رسول الله فعدل عن لفظ نبي الى لفظة رسول لزيادة المدح لأن كل رسول نبي ولا عكس على أحد القولين فهذا تلفيف بعد تلفيف •

الفوائـد :

المفعول المطلق والمصدر :

المفعول المطلق هو الحاصل بالمصدر أي الأثر لا المصدر الذي هو التأثير فإطلاق المصـدر على المفعول بضرب من المسامحـة وعدم التمييز بين التأثير والأثر وإيضاح ذلك أن صيغ المصادر موضوعـة للأثر الحاصل بتأثير الفاعل المسمى بلفظ المصدر كما أنها موضوعة لإيقاع ذلك الأثر وإلا يلزم التجوز في كل مفعول مطلق ولا سبيل إليه لوجود أمارة الحقيقة من تبادر معناه من غير حاجة الى القرينة وفي عدم التمييز بين التأثير والأثر وإن صرح به ابن سينا نظراً لأنهما من مقولتين مختلفتين فالأول من مقولة الفعل والثاني من مقولة الانفعال وقـــال بعض المحققين : الاتحاد أمر موجود لكن لا ينافي الاختلاف بحسب

المفهوم فإن الضوء الحاصل من الشمس في البيت أمر موجود لكن إذا نسب الى الشمس يسمى اضاءة وإذا نسب الى البيت يسمى استضاءة .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً
وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ
وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا
وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ
لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ
أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً) كلام مستأنف مسوق لبيان أن الذكر ليس له حدود ينتهي إليها ويقف عندها إذ ما من عبادة إلا ولها حدود معلومة ورسوم مرسومة ، ما عدا الذكر فانه يتجاوز حدود الزمان والمكان . واذكروا الله فعل أمر وفاعل ومفعول به وذكراً مفعول مطلق وكثيراً صفة . (وسبحوه بكرة وأصيلاً) فعل أمر

وفاعل ومفعول به وبكرة ظرف لأول النهار متعلق بسبحوه ، وأصيلاً عطف على بكرة وهو ظرف لآخر النهار وسيأتي سر تخصيصهما وتخصيص التسبيح بالذكر في باب البلاغة • (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) تعليل لما تقدم من الأمر بالذكر والتسبيح وهو مبتدأ والذي خبره وجملة يصلي صلة الموصول وعليكم متعلقان بيصلي وملائكته عطف على الضمير المستكن في يصلي • (ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيماً) اللام للتعليل ويخرجكم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والفاعل مستتر والكاف مفعول به والجار والمجرور متعلقان بيخرجكم وكان الواو اعتراضية وكان واسمها المستتر وبالمؤمنين متعلقان برحيماً ورحيماً خبرها والاعتراض بمثابة التقرير لمضمون ما تقدم •

(تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجراً كريماً) استئناف مسوق لبيان ما أعد لهم في الآجلة ، وتحيتهم مبتدأ والهاء مضاف لتحية من إضافة المصدر الى مفعوله أي يحيون يوم لقائه بسلام والظرف متعلق بمحذوف حال وجملة يلقونه في محل جر باضافة الظرف اليها وسلام خبر تحيته والواو استئنافية وأعد فعل ماض وفاعل مستتر يعود على الله ولهم متعلقان بأعد وأجراً مفعول به وكريماً صفة • (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً) ان واسمها وجملة أرسلناك خبرها وشاهداً حال مقدرة وسيأتي ذكر الحال المقدرة وسرها في باب الفوائد ومبشراً ونذيراً عطف على شاهداً • (وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً منيراً) وداعياً عطف أيضاً على شاهداً والى الله متعلقان بداعياً وبإذنه حال وسيأتي سر هذه الاستعارة في باب البلاغة • وسراجاً منيراً عطف أيضاً والكلام تشبيه بليغ سيأتي حكمه في باب البلاغة (وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً) عطف على ما تقدم وبشر

فعل أمر والمؤمنين مفعول به وبأن متعلقان ببشر ولهم خبر أن ومن الله حال وفضلاً اسم إن المؤخر وكبيراً صفة لفضلاً .

(ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم) عطف على ما تقدم ولا ناهية وتطع فعل مضارع مجزوم بلا والفاعل مستتر تقديره أنت والكافرين مفعول به والمنافقين عطف على الكافرين ودع أذاهم فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به من باب إضافة المصدر الى فاعله أو مفعوله فيكون المعنى على الأول دع أذيتهم إياك من غير مجازاة وعلى الثاني دع ما آذوك ولا تؤاخذهم حتى تؤمر بذلك وقد جاء الأمر بعد ذلك بالقتال (وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً) عطف على ما تقدم وعلى الله متعلقا نبتوكل وكفى فعل ماض والباء زائدة والله فاعل كفى محلاً ووكيلاً تمييز أو حال وقد تقدم نظيره .

البلاغـة :

التخصيص :

خص البكرة والأصيل في قوله « وسبحوه بكرة وأصيلاً » بالـذكر لإظهار فضلهما والتنويه بهما لأن العبـادة فيهما آكـد على الانسان كما خص التسبيح وهو من أنواع الذكر ليبين فضله عـلى سائر الأذكار ، روى الترمذي في خطابه صلى الله عليه وسلم لجويرية أم المؤمنين : « ألا أعلمك كلمات تقولينها : سبحان الله عدد خلقه ، ورضا نفسه وزنة عرشه ومـداد كلماته » قال الجـلال السيوطي في التعليق على هذا الحديث : « سئلت قديماً عن إعراب هـذه الألفاظ ووجه النصب فيها فأجبت بأنها منصوبة عـلى الظرف بتقدير قدر »

وقد نص سيبويه على أن من المصادر التي تنصب على الظرف قولهم زنة الجبال ووزن الجبل وقد صنف الجلال السيوطي كتاباً لطيفاً سماه « رفع السنة عن نصب الزنة » وقيل بل يعربان نصباً على المصدرية وعليها فقدره بعضهم أعد تسبيحه بعدد خلقه وقدره آخرون : سبحته تسبيحاً يساوي خلقه عند التعداد ، قال ابن حجر في المشكاة : « والأول أوضح » وأعربه آخرون نصباً بنزع الخافض . هذا وللنووي كتاب لطيف في الأذكار اسمه : « الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار » فارجع إليه .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ
أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ
سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ
أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ
عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً
مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً
لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا
مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾
۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ

عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ
وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا
حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ
أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات) إذا ظرف مستقبل وجملة نكحتم المؤمنات في محل جر بإضافة الظرف اليها وسيأتي معنى نكحتم المؤمنات في باب البلاغة • (ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها) ثم حرف عطف وتراخ وطلقتموهن فعل وفاعل ومفعول به والميم علامة جمع الذكور والواو لإشباع الضمة ومن قبل متعلقان بطلقتموهن وأن تمسوهن المصدر المؤول مضاف لقبل والمراد بالمس الجماع والفاء رابطة لجواب إذا وما نافية ولكم خبر مقدم وعليهن متعلقان بمحذوف حال لأنه كان صفة لعدة ومن حرف جر زائد وعدة مجرور لفظاً مبتدأ محلاً وجملة تعتدونها صفة لعدة وتعتدونها من العدد أي تستوفون عددها من قولك عد الدراهم فاعتدها • (فمتعوهن وسرحوهن سراحاً جميلاً) الفاء الفصيحة ومتعوهن فعل أمر وفاعل ومفعول به وسرحوهن عطف على متعوهن وسراحاً جميلاً مفعول مطلق ، وأحكام التمتيع مبسوطة في كتب الفقه فليرجع اليها من شاء هناك • والسراح الجميل الذي لا ضرر فيه •

(يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) كلام مستأنف مسوق لاختصاص النبي بالأطيب الأزكى بعد أن خيَّر نساءه فاخترنه • وان واسمها وجملة أحللنا خبرها ولك متعلقان بأحللنا وأزواجك مفعول به واللاتي صفة وجملة آتيت صلة وأجورهن أي مهورهن مفعول به •

(وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك) وما عطف على أزواجك وجملة ملكت صلة ويمينك فاعل ملكت ومما حال مبينة لما ملكت وأفاء الله فعل وفاعل والفيء الغنيمة وعليك متعلقان بأفاء وسيأتي ما يزيد ذلك وضوحاً في باب الفوائد • (وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك) عطف على ما تقدم واللاتي صفة وجملة هاجرن صلة ومعكَ ظرف متعلق بهاجرن وخص هؤلاء بالذكر تشريفاً لهن كما قال تعالى : « فيهما فاكهة ونخل ورمان » (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها) وامرأة معطوف على مفعول أحللنا أي وأحللنا لك امرأة وهبت نفسها لك بغير صداق اما غير المؤمنة فلا تحل له إذا وهبت نفسها منه ، وإن شرطية ووهبت فعل الشرط ونفسها مفعول به وللنبي متعلقان بوهبت وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله أي أحللنا وإن شرطية مقيدة للأولى وأراد فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والنبي فاعل وأن يستنكحها مصدر مؤول مفعول أراد • والاستنكاح مثل النكاح يقال نكحها واستنكحها قال النابغة :

وهـــم قتلوا الطائي بالحجـــر عنوة

أبـــا جابـــر واستنكحـــوا أم جابـــر

وهو في اللغة بمعنى الضم والجمع ومنه تناكحت الأشجار إذا تمايلت وانضم بعضها الى بعض . قال عمر بن أبي ربيعة :

واستنكح النوم الذين نخافهم
ورمى الكرى بوّابهم فتجدلا

والجملة الشرطية الثانية في محل نصب حال لأن الحال قيد فإن هبتها نفسها منه لا توجب له حلها إلا بإرادته نكاحها كأنه قال : أحللناها لك إن وهبت لك نفسها وأنت تريد أن تستنكحها لأن إرادته هي قبول وما به تتم . (خالصة لك من دون المؤمنين) مصدر مؤكد لفعل محذوف أي خلصت لك خالصة وقد ورد المصدر على هذه الزنة كالعاقبة والكاذبة ، وفاعل المصدر مستتر تقديره النكاح بلفظ الهبة وأل عوض عن الضمير المحذوف أي خالصاً لك نكاحها وعلى هذا الوجه اقتصر الزمخشري ، واختار الزجاج وأبو البقاء أن تكون حالاً من امرأة لأنها وضعت فتخصصت جرياً على القاعدة المشهورة وقيل حال من فاعل وهبت أي حال كونها خالصة لك دون غيرك ولا يبعد أن تكون نعت مصدر مقدر أي هبة خالصة ، ولك متعلقان بخالصة ومن دون المؤمنين حال . (قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم) الجملة معترضة مقررة لمضمون ما قبلها وقد حرف تحقيق وعلمنا فعل وفاعل وما مفعول علمنا وجملة فرضنا صلة وعليهم متعلقان بفرضنا وفي أزواجهم حال وما عطف على أزواجهم وجملة ملكت أيمانهم صلة ، ومعنى هذه الجملة الاعتراضية أن الله قد علم ما يجب فرضه على المؤمنين في الأزواج والإماء وعلى أي حد وصفة يجب أن يكون فرضه كما علم اختصاص رسوله بما تتوفر فيه المصلحة فاختصه بذلك .

(لكيـلا يكون عليك حرج وكان الله غفوراً رحيمـاً) لكيـلا متعلقـان بأحللنا أو بخالصة باعتبار ما فيه من معنى ثبوت الإحـلال وحصوله له وعليك خبر يكون المقـــدم وحرج اسمها المؤخر وكان واسمها وخبراها . (ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء) كلام مستأنف للشروع في بيان حكم معاشرته لنسائه بعد بيان حلهن له . وترجي أي تؤخر فعـــل مضارع مرفوع وقرىء بالهمزة أي ترجىء والفاعل مستتر تقديره أنت ومن تشاء مفعول به ومنهن حال وتؤوي أي تضم عطف على ترجىء وإليك متعلقان بتؤوي ومن تشاء مفعوله أي أن النبي صـــلى الله عليـــه وسلم كان مخيّراً في أزواجـــه . (ومن ابتغيت ممن عزلت فـلا جنـاح عليك) الواو استئنافية ومن يجوز أن تكون موصولة فهي في محل رفع مبتدأ وجملة ابتغيت صلة والعائد محـذوف والفاء رابطة لما تقـدم من أن في الموصول رائحة الشرط وجملة لا جناح عليك خبر من ويجوز أن تكون شرطية فهي في محل نصب مفعول مقدم لابتغيت وقوله فـلا جناح عليك جوابها ولا نافية للجنس وجناح اسمها وعليك خبرها .

(ذلك أدنى أن تقرّ أعينهن ولا يحزنّ) ذلك مبتدأ والاشارة الى التخيير والتفويض الى مشيئته صلى الله عليه وسلم وأدنى خبر وأن وما في حيزها نصب بنزع الخافض أي الى أن تقرّ وهو متعلق بأدنى وأعينهن فاعل تقر ولا يحزن عطف على تقر أي وأقرب الى قلة حزنهن وأقرب الى رضائهن جميعاً لتسويته بينهن في الإيواء والإرجاء والعزل والابتغاء فلم يكن بينهن ثمة تفاضل وتمايز . (ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم مافي قلوبكم وكان الله عليماً حليماً) ويرضين عطف على ما تقدم وبما متعلقان بيرضين وجملة آتيتهن صلة وكلهن تأكيد

للنون في يرضين والله مبتدأ وجملة يعلم خبر وما مفعول يعلم وفي قلوبكم متعلقان بمحذوف صلة ما أي استقر في قلوبكم وكان واسمها وخبراها . (لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج) كلام مستأنف مسوق لتبيان ما يحل له ولا نافية ويحل فعل مضارع مرفوع وبك متعلقان بيحل والنساء فاعل ، ومن بعد حال وبني بعد على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً لا معنى والمعنى من بعد التسع المجتمعات في عصمتك وهن نصابه كما أن الأربع نصاب أمته ، والواو عاطفة ولا نافية وأن تبدل مصدر مؤول معطوف على النساء ونائب فاعل تبدل مستتر تقديره أنت وبهن متعلقان بتبدل ومن حرف جر زائد وأزواج مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول به ، قال ابن زيد : هذا شيء كانت العرب تفعله يقول أحدهم : خذ زوجتي وأعطني زوجتك .

(ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيباً) الواو للحال والجملة حالية من الضمير في تبدل أي مفروضاً إعجابك بهن ، ولو شرطية وأعجبك حسنهن فعل ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر ، قال ابن عطية : « وفي هذا اللفظ أعجبك حسنهن دليل على جواز أن ينظر الرجل الى من يريد زواجها » وإلا ما ملكت يمينك : في هذا الاستثناء وجهان أحدهما انه مستثنى من النساء فيجوز فيه وجهان النصب على الاستثناء والرفع على البدلية وهو الأرجح والثاني انه مستثنى من أزواج فيجوز فيه النصب على الاستثناء والجر على البدلية منهن على اللفظ أو النصب على المحل وجملة ملكت يمينك صلة ما وكان واسمها وخبرها وعلى كل شيء متعلقان برقيباً .

البلاغـة :

في قوله « يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ... الخ » تسمية العقـد نكاحاً مجاز مرسل علاقته الملابسة من حيث أنه طريق إليه ونظيره تسميتهم الخمر إثماً لأنها سبب في مقارفة الاسم .

وفي قوله تمسوهن كناية عن الوطء ومن آداب القرآن الكناية عن الوطء بلفظ الملامسة والمماسة والقربان والتغشي والإتيان .

وفي قوله « إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنـين » الالتفات من الغيبة الى الخطاب وقد تقدم بحث الالتفات مفصـلاً في أكثر من موضع ، والسر في الالتفات هنا أنه رجوع الى أصل الكلام فقد صدر الكلام بمخاطبـة النبي بقوله : يا أيها النبي إنا أحللنا لك الخ ثم عدل عن الخطاب الى الغيبة في قولـه إن أراد النبي أن يستنكحها للإيذان بأنه مما خص به وأوثر وأن هذا الاختصاص تكرمة له من أجل النبوة . وهذا من أسرار البيان فتنبه له .

الفوائـد :

في قوله « لا يحل لك النساء من بعد » قلنا في باب الاعراب أن الظرف بني على الضم لانقطاعه عن الإضافة لفظاً لا معنى ، وأراد من بعد التسع اللواتي اخترنك واللواتي توفي عنهن وهن عائشة بنت أبي بكر الصـديق وحفصة بنت عمـر وأم حبيبة بنت أبي سفيان وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبي أمية وصفية بنت حيي بن أخطب

الخيبرية وميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت جحش الأسدية وجورية بنت الحارث الصطلقية ، رضي الله عنهن والمعنى أن التسع في حقه كالأربع في حقنا .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾

اللغـــة :

(إناه) بكسر الهمزة وفتحها حلول الوقت والنضج وهو مصدر أنى يأني أي مصـــدر سماعي لأنه من باب رمى وقياس مصـــدره أني كرمي ولكنـــه لم يسمع ولكن المسموع إنى بالكســر والقصــر بوزن رضا .

الاعراب :

(يا أيهـا الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي) كلام مستأنف مسوق للشروع في بيان ما يجب على الناس من رعاية حقوق نساء النبي • ولا ناهية وتدخلوا فعل مضارع مجزوم بلا وبيوت النبي مفعول به على السعة • (إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه) إلا أداة حصر وأن يؤذن المصدر استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي لا تدخلوها في حال من الأحوال إلا حال كونكم مأذوناً لكم ، واختار الزمخشري أن يكون استثناء مفرغاً من أعم الظروف أي لا يدخلوها في وقت من الأوقات إلا وقت أن يؤذن لكم وليس اختياره ببعيد • ويؤذن فعل مضارع مبني للمجهول ولكم متعلقان بيؤذن وكذلك قوله إلى طعام لتضمن يؤذن معنى الدعاء واختار السمين أيضاً أن يكون المصدر في موضع نصب بنزع الخافض أي إلا بسبب الإذن لكم وتكون الباء للسببية ، وغير ناظرين حال من لا تدخلوا وقع الاستثناء على الظرف والحال معاً كأنه قيل لا تدخلوا بيوت النبي إلا وقت الإذن ولا تدخلوها إلا غير ناظرين ، وإناه أي نضجه فهو مفعول به لناظرين وهم قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله فيدخلون ويقعدون منتظرين لإدراكه •

(ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث) الواو عاطفة ولكن حرف استدراك مخفف مهمل وإذا ظرف مستقبل وجملة دعيتم في محل جر بإضافة الظرف اليها ، فادخلوا الفاء رابطة وادخلوا فعل أمر وفاعل ، فإذا الفاء عاطفة وجملة طعمتم مضاف إليها الظرف ، فانتشروا جواب إذا ، ولا مستأنسين الواو عاطفة

ولا نافية ومستأنسين معطوف على غير ناظرين وقيل هو معطوف على حال مقدرة أي لا تدخلوها هاجبين ولا مستأنسين واختار الزمخشري وغيره انه مجرور عطفاً على ناظرين ، ولحديث متعلقان بمستأنسين فاللام للعلة أي مستأنسين لأجل أن يحدث بعضكم بعضاً ويجوز أن تكون لتقوية العامل أي ولا مستأنسين حديث أهل البيت وغيرهم •

(إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق) الجملة تعليل للنهي وإنّ حرف مشبه بالفعل وذلكم اسمها وجملة كان يؤذي النبي خبرها والاشارة الى المكث واللبث وجملة يؤذي النبي خبر كان ، فيستحيي عطف على يؤذي ومنكم متعلقان به ولا بد من تقدير مضاف أي من إخراجكم والواو حالية أو استئنافية والله مبتدأ وجملة لا يستحيي من الحق خبره والمراد بالحق الإخراج وسيأتي معنى هذا المثل في باب البلاغة • (وإذ سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب) الواو عاطفة وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن وجملة سألتموهن في محل جر بإضافة الظرف اليها فاسألوهن الفاء رابطة واسألوهن فعل أمر وفاعل ومفعول به ومتاعاً مفعول به ثان لسأل ومن وراء حجاب متعلقان باسألوهن • (ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) اسم الاشارة مبتدأ أي ما ذكر من عدم الدخول بغير إذن وعدم الاستئناس للحديث وسؤال المتاع من وراء حجاب ، وأطهر خبر ولقلوبكم متعلقان بأطهر وقلوبهن عطف على قلوبكم •

(وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً) الواو استئنافية وما نافية وكان فعل ماض ناقص ولكم خبرها المقدم وان وما في حيزها مصدر مؤول في محل رفع اسمها المؤخر ورسول الله مفعول به ولا أن تنكحوا عطف على أن تؤذوا

وأزواجه مفعول به ومن بعده حال وأبداً ظرف • (إن ذلكم كان عند الله عظيماً) إن واسمها والاشارة الى ما ذكر من إيذائه ونكاح أزواجه من بعده وجملة كان خبر إن واسم كان مستتر وعظيماً خبر وعند الله متعلق بمحذوف حال •

البلاغـة :

المجاز في قوله « والله لا يستحيي من الحق » وعلاقة هذا المجاز السببية لأن من استحيا من شيء تركه عادة والكلام جار مجرى المثل ليكون تأديباً يتعظ به الثقلاء ، وما أجمل قول عائشة : « حسبك في الثقلاء أن الله تعالى لم يحتملهم » •

إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾

الاعراب :

(إن تبدوا شيئاً أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليما) إن شرطية وتبدوا فعل الشرط والواو فاعل وشيئاً مفعول به ، أو

تخفوه عطف على تبدوا وهو فعـل وفاعل ومفعول به ، فإن الله الفاء رابطة لجواب الشرط وان واسمها وجملة كان خبرها وبكـل شيء متعلقان بعليماً وعليماً خبر كان . (لا جناح عليهن في آبائهن) لا نافية للجنس وجنـاح اسم لا وعليهن خبرها وفي آبائهن حـال أي لا إثم عليهن في أن لا يحتجبن من هؤلاء (ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبنـاء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمـانهن) عطف على ما تقدم ومعنى قوله ولا نسائهن أي ولا جناح على زوجات النبي في عـدم الاحتجـاب عن نسائهن أي النساء المسلمـات . (واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيداً) الواو عاطفة واتقين فعل أمر معطوف على محذوف أي امتثلن ما أمرتن به ، واتقين اللـه على طريق الالتفات من الغيبة الى الخطاب وسيأتي سر هذا الالتفات في باب البلاغة ، ونون النسوة ولفظ الجـلالة مفعول به وإن واسمها وجملة كان واسمها المستتر وخبرها في محل رفع خبر ان .

(إن الله وملائكته يصلون عـلى النبي) كلام مستأنف مسوق لتشريفه صلى الله عليه وسلم حياً وميتاً . وان واسمها وملائكته عطف على الله وجملة يصلون على النبي خبر إن . (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) تسليماً مصدر مؤكد

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ

وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾

اللغــــة :

(جلابيبهن) : الجــلابيب : المــلاحف والواحــد جلبات ، قالت امرأة من هذيل ترثي قتيلاً :

تمشــي النسور إليــــه وهي لاهيــة
مشي العــــذارى عليهن الجـــلابيب

وقال أبو الطيب :

مــن الجـــآذر في زي الأعــــاريب
حمر الحــــلى والمطايا والجـــلابيب

وفي القاموس وغيره : « الجلباب والجلباب بتشديد الباء الأولى وهو القميص أو الثوب الواســع » وفي الكشاف : « الجلباب ثوب واسع أوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها » .

الاعراب :

(إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة) إن واسمها وجملة يؤذون الله ورسوله صلة ومعنى إيذاء الله ورسوله

فعل ما يسخطهما وجملة لعنهم الله خبر إن وفي الدنيا والآخرة متعلقان بلعنهم • (وأعد لهم عذاباً مهيناً) عطف على جملة الخبر وعذاباً مفعول أعد ولهم متعلقان بأعد • (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا) الذين مبتدأ وجملة يؤذون المؤمنين والمؤمنات صلة وبغير متعلقان بيؤذون وما موصولة أو مصدرية وعلى كل فهي أو المصدر مضافان الى غير • (فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً) الفاء رابطة لما في الموصول من رائحة الشرط وقد حرف تحقيق واحتملوا فعل وفاعل والجملة خبر الذين وبهتاناً مفعول احتملوا وإثماً عطف على بهتاناً ومبيناً صفة•(يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين) كلام مستأنف مسوق لأمر المستهدفات للأذى بفعل ما يبعد الأذى عنهن من التستر • ولأزواجك متعلقان بقل وما بعده عطف عليه •

(يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) جملة يدنين مقول القول محذوف يدل عليه جوابه أي قل لهن أدنيه ويحتمل أن يكون مجزوماً بجواب الأمر وجوزوا أن يكون يدنين بمعنى ليدنين فهو مجزوم بلام الأمر ويكون هذا هو المقول وقد تقدم في الرعد بحث نظيره مفصلاً فارجع اليه • وعليهن حال ومن جلابيبهن متعلقان بيدنين على أنه مفعوله ، قال الزمخشري : « فإن قلت : ما معنى من في جلابيبهن قلت هو للتبعيض إلا أن معنى التبعيض محتمل وجهين أحدهما أن يتجلببن ببعض ما لهن من الجلابيب والمراد أن لا تكون الحرة مبتذلة في درع وخمار كالأمة والماهنة ولها جلبابان فصاعداً في بيتها والثاني أن ترخي المرأة بعض جلبابها وفضله على وجهها تتقنع حتى تتميز من الأمة » وقوله الماهنة مؤنث الماهن وهو الخادم • وذلك

مبتدأ وأدنى خبر وأن يعرفن المصدر المؤول نصب بنزع الخافض أي أقرب إلى أن يعرفن والفاء عاطفة ولا نافية ويعرفن فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة وهو معطوف على أن يعرفن . (وكان الله غفوراً رحيماً) الواو عاطفة وكان واسمها وخبراها .

* لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾

اللغة :

(المرجفون) : قال في الأساس : « وأرجفوا في المدينة بكذا إذا أخبروا به على أن يوقعوا في الناس الاضطراب من غير أن يصح عندهم . وهذا من أراجيف الغواة والإرجاف مقدمة الكون ، وتقول : إذا وقعت المخاويف كثرت الأراجيف » وجاء في غيره ما نصه : « أرجف : خاض في الأخبار السيئة والفتن قصد أن يهيج الناس ، وأرجف القوم بالشيء وفيه : خاضوا فيه ، وأرجفت الريح الشجر : حركته ، وأُرجفت الأرض بالبناء للمجهول : زلزلت ، وأصل الإرجاف

التحريك مأخوذ من الرجفة وهيَ الزلزلة ووصفت به الأخبار الكاذبة لكونها متزلزلة غير ثابتة » .

وسمي البحر رجّافاً لاضطرابه ، ومنه قول الشاعر :

المطعون اللحم كلَّ عشية حتى تغيب الشمس في الرّجاف

(ملعونين) : قال في الأساس واللسان : « لعنه أهله : طردوه وأبعدوه وهو لعين طريد وقد لعن الله إبليس : طرده من الجنة وأبعده من جوار الملائكة ، ولعنت الكلب والذئب : طردتهما ويقال للذئب : اللعين ولعّنه وهو مُلَعّن : مكثّر لعنه ، وتلاعن القوم وتلعّنوا والتعنوا والتعن فلان : لعن نفسه ورجل لُعْنَة ولُعَنَة كضُحْكَة وضَحَكَة ، ولا تكن لعّاناً : طعّاناً ، ولاعن امرأته ولاعن القاضي بينهما ، ووقع بينهما اللعان وتلاعنا والتعنا ، ومن المجاز : أبيت اللعن وهي تحية الملوك في الجاهلية أي لا فعلت ما يستوجب به اللعن وفلان ملعّن القدر ، قال زهير :

ومرهّق النيران يحمد في اللأ واء غير ملعّن القدر

ونصب اللعين في مزرعته وهو الفزّاعة ، والشجرة الملعونة : كل من ذاقها لعنها وكرهها » .

(ثقفوا) : وجدوا وأدركوا وفي الأساس : « وطلبناه فثقفناه في مكان كذا أي أدركناه وثقفت العلم أو الصناعة في أوحى مدة : إذا أسرعت أخذه وغلام ثقِف لقِف وثَقْف لَقْف وقد ثقُف ثَقافة وثاقفه مثاقفة : لاعبه بالسلاح وهي محاولة أخذ الغِرّة في المسايفة

وغيرها وفلان من أهل المثاقفة وهو مثاقف : حسن الثّقافة بالسيف بالكسر ولقد تثاقفوا فكان فلان أثقفهم ، وخلّ ثَقيف وثِقّيف وفي كتاب العين : ثَقيف وقد ثقُف ثَقافة ومن المجاز : أدّبه وثقّفه ولولا تثقيفك وتوقيفك لما كنت شيئاً وهل تهذبت وتثقفت إلا على يدك » وعبارة القاموس : « ثقِف ككرم وفرح ثقْفاً وثَقَفاً وثَقافة صار حاذقاً خفيفاً فطناً فهو ثَقْف كحَبْر وكتف وأمير » •

الاعراب :

(لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض) اللام موطئة للقسم وإن شرطية ولم حرف نفي وقلب وجزم وينته فعل مضارع مجزوم بلم وهو بمثابة فعل الشرط والمنافقون فاعله والذين عطف على المنافقون وفي قلوبهم خبر مقدم ومرض مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية صلة الموصول • (والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم) والمرجفون عطف أيضاً فاستوفى به الأوصاف الثلاثة لشيء واحد فقد كانوا أقساماً ثلاثة فمنهم المنافقون وأهل الفجور مرضى القلوب والمرجفون بأخبار السوء عن سرايا رسول الله أو هو عام في كل إرجاف وتأليف لأخبار السوء • وفي المدينة متعلقان بالمرجفون واللام واقعة في جواب القسم وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم ونغرينك فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والفاعل مستتر تقديره نحن والكاف مفعول به وبهم متعلقان بنغرينك •

(ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي وإنما أوثر حرف العطف الدال على التراخي لأن الجلاء عن

الأوطان كان أعظم عليهم من جميع ما أصيبوا فتراخت حاله عن حال المعطوف عليه ، وفيه إشارة الى أن من توجه عليه إخلاء منزل مملوك للغير بوجه شرعي يمهل ريثما ينتقل بنفسه ومتاعه وعياله برهة من الزمان حتى يتحصل له منزل آخر على حسب الاجتهاد • ولا نافية ويجاورونك فعل مضارع معطوف على نغرينك فهو مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعله والكاف مفعوله وفيها متعلقان بمحذوف حال وإلا أداة حصر وقليلاً ظرف زمان متعلق بيجاورونك أو مصدر — أي إلا جواراً — أي زمناً قليلاً ريثما يرتحلون ويلتقطون أنفسهم وعيالاتهم • (ملعونين أينما ثقفوا أُخذوا وقتلوا تقتيلاً) ملعونين حال من مقدر حذف هو وعامله أي ثم يخرجون أو من فاعل يجاورونك وقد دخل حرف الاستثناء على الظرف والحال معاً كما في قوله « إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه » وقال الزمخشري : « ولا يصح أن ينتصب عن أخذوا لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها وقيل في قليلاً هو منصوب على الحال أيضاً ومعناه لا يجاورونك إلا أقلاء أذلاء ملعونين » وأجاز الكسائي والفراء أن ينتصب عن أخذوا لأنهما يجيزان تقديم معمول الجواب على أداة الشرط نحو : خيراً إن تأتيني تصب • وأينما اسم شرط جازم في محل نصب على الظرفية المكانية وهو متعلق بأخذوا أي بجوابه وثقفوا فعل ماض مبني للمجهول وهو في محل جزم فعل الشرط وأخذوا فعل ماض مبني للمجهول أيضاً وهو جواب الشرط وقُتلوا فعل ماض مبني للمجهول وتقتيلاً مفعول مطلق •

(سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً)
سنة الله في موضع نصب على المصدرية أي أنه مصدر مؤكد أي سن

الله في الذين ينافقون أن يقتلوا حيثما ثقفوا ، وفي الذين حال وجملة خلوا صلة ومن قبل متعلقان بخلوا ولن الواو عاطفة ولك أن تجعلها حالية ولن حرف نفي ونصب واستقبال وتجد فعل مضارع منصوب بلن ولسنة الله متعلقان بتبديلاً وتبديلاً مفعول به • (يسألك الناس عن الساعة) كلام مستأنف مسوق لحكاية حال المستهزئين من المشركين واليهود الذين كانوا يسألون النبي عن الساعة استعجالاً بطريق الاستهزاء • ويسألك فعل مضارع ومفعول به مقدم والناس فاعل وعن الساعة متعلقان بيسألك • (قل إنما علمها عند الله) إنما كافة ومكفوفة وعلمها مبتدأ وعند الله ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر • (وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً) الواو عاطفة وما اسم استفهام للانكار مبتدأ وجملة يدريك خبره ولعل واسمها وجملة تكون خبرها والجملة معلقة بالاستفهام فهي في محل نصب مفعول ثان وقريباً خبر تكون على أن الموصوف محذوف أي شيئاً قريباً ، وقل قريباً كثر استعماله استعمال الظروف فهو هنا ظرف في موضع الخبر ، وقد أشار الزمخشري الى الوجهين بقوله « قريباً شيئاً قريباً أو لأن الساعة في معنى اليوم أو في زمان قريب » •

إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا

سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ
ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾

اللغــة :

(سادتنا) : جمع تكسير على وزن فَعَلة بفتحتين وهو شائع في وصف لمذكر عاقل صحيح اللام نحو كامل وكملة وساحر وسحرة وسافر وسفرة وبار وبررة ، قال الله تعالى : « وجاء السحرة » « بأيدي سفرة ، كرام بررة » فخرج بالوصف الاسم نحو واد وباز ، وبالتذكير نحو حائض وطالق ، وبالعقل نحو سابق ولاحق صفتي فرسين وبصحة اللام نحو قاض وغاز فلا يجمع شيء من ذلك على فعلة بفتحتين باطراد وشذّ في غير فاعل نحو سيد وسادة فوزنها فعلة ، ويجوز أن يكون جمعاً لسائد نحو فاجر وفجرة وكافر وكفرة وهو أقرب الى القياس كما رأيت ، على أن صاحب القاموس لم يلتزم بالقاعدة فقال : « والسائد السيد أو دونه والجمع سادة وسيايد وقرأ ابن عامر ساداتنا فجمعه ثانياً بالألف والتاء وهو غير مقيس أيضاً » .

الاعراب :

(إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً) إن واسمها وجملة لعن الكافرين خبرها وأعد عطف على لعن ولهم متعلقان بأعدّ وسعيراً مفعول به والسعير النار المسعورة الشديدة الإيقاد ولذلك أعاد الضمير

عليها مؤنثة • (خالدين فيها أبداً لا يجدون ولياً ولا نصيراً) حال من الكافرين وفيها متعلقان بخالدين وأبداً ظرف زمان متعلق بخالدين أيضاً وجملة لا يجدون حال ثانية وولياً مفعول يجدون ولا نصيراً عطف على ولياً • (يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) يوم ظرف زمان متعلق بيقولون أو متعلق بمحذوف تقديره اذكر وعلقه أبو البقاء بقوله لا يجدون أو بنصيراً وجملة تقلب في محل جر بإضافة الظرف اليها وهو فعل مضارع مبني للمجهول ووجوههم نائب فاعل وفي النار متعلقان بتقلب وجملة يقولون إما مستأنفة وإما حالية من ضمير وجوههم أو من نفس الوجوه وسيأتي في باب البلاغة سر تخصيص الوجوه ومعن تقليبها ، ويا حرف تنبيه أو حرف نداء والمنادى محذوف وليت واسمها وجملة أطعنا الله خبرها وأطعنا الرسولا عطف على أطعنا الله •

(وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا) كلام مستأنف مسوق لامتهاد العذر لأنفسهم ولك أن تعطفه على يقولون على طريق العدول عن المضارع الى الماضي للدلالة على أن قولهم هذا ليس مستمراً كقولهم السابق بل هو ضرب من الاعتذار غير الوارد وغير المقبول • وربنا منادى مضاف وإن واسمها وجملة أطعنا سادتنا وكبراءنا خبرها ، فأضلونا عطف على أطعنا وأضلونا فعل ماض وفاعل ومفعول به أول والسبيلا مفعول به ثان يقال ضل السبيل وأضله إياه وزيادة الألف لإطلاق الصوت ، جعلت فواصل الآي كقوافي الشعر وفائدتها الوقف والاشارة الى أن الكلام قد انقطع وأن وما بعده مستأنف • (ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً) آتهم فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به أول وضعفين مفعول به ثان ومن

العذاب صفة لضعفين والعنهم فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به ولعناً مفعول مطلق وكبيراً نعت للعناً ٠

البلاغـة :

في قولـــه « يوم تقلب وجوههم في النار » تخصيص الوجوه بالذكر لإنافة الوجه على جميع الأعضاء وهو مثابة المقابلة ، ومعنى تقليبها تصريفها في الجهات المختلفة كاللحم يشوى في النار أو توضع في ماء القدر وهو يغلي فيترامى بها الغليان الى كل جانب ٠

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ
مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ
وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضۡنَا
ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ
مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ
ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ
عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمَۢا ﴿٧٣﴾

اللغــــة :

(وجيهاً) : الوجيه : سيد القوم ذو الجاه والوجاهة يقال وجه الرجل يوجُه وجاهة فهو وجيه .

(سديداً) : صواباً ، يقال سدّ يسدّ من باب ضرب صار سديداً والسداد بفتح السين : القصــد الى الحق والقول بالعدل أما السداد بالكسر فكل شيء سددت به شيئاً وذلك مثل سداد القارورة وسداد الثغر ، وجاء في أخبار النحويين أن النضر بن شميــل المازني استفاد بإفادة هذا الحرف ثمانين ألف درهم قال : كنت أدخل على المأمون في سمره فدخلت ذات ليلة وعليّ قميص مرقوع فقــال يا نضر ما هــذا التقشف حتى تدخل على أمير المؤمنين بهــذه الخلقان ؟ فقلت : يا أمير المؤمنــين أنا شيخ ضعيف وحرّ مروٍ شديد فأبترد بهــذه الخلقان . قال : لا ولكنك قشف ، ثم أجرينا الحديث فأجرى هو ذكر النساء فقال حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تزوج الرجل الزوجة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز فأورده بفتح السين . قال : فقلت صدق يا أمــير المؤمنين هشيم ، حــدثنا عوف بن أبي جميلة عن الحسن عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سِداد من عوز . قــال : وكان المأمون متكئاً فاستوى جالساً وقال : يا نضر كيف قلت سِداد ؟ قلت : لأن السَّداد هنا لحن . قال : أو تلحنني ؟ قلت : إنمــا لحن هشيم وكان لحّانة فتبع أمير المؤمنين لفظه . قال فما الفرق بينهما ؟ قلت : السداد

بالفتح القصد في الدين والسبيل وبالكسر البلغة وكل ما سددت به شيئاً فهو سدادة قال : أو تعرف العرب ذلك ؟ قلت : نعم هذا العرجي يقول :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فقال المأمون : قبح الله من لا أدب له وأطرق ملياً ثم قال : ما مالك يا نضر ؟ قلت : أريضة لي بمرو أتمزّزها ، قال : أفلا نفيدك مالاً معها ؟ قلت : إني الى ذلك لمحتاج ، قال : فأخذ القرطاس وأنا لا أدري ما يكتب ثم قال : كيف تقول إذا أمرت أن يترب ؟ : أترب ، قال : فهو ماذا ؟ قلت : مترب ، قال : فمن الطين ؟ قلت : طنه ، قال : فهو ماذا ؟ قلت : مطين ، قال : هذه أحسن من الأولى ثم قال : يا غلام أتربه وطنه • ثم صلى بنا العشاء وقال لخادمه : تبلغ معه الى الفضل ابن سهل • قال : فلما قرأ الفضل الكتاب قال يا نضر إن أمير المؤمنين قد أمر لك بخمسين ألف درهم ثم أمر لي الفضل بثلاثين ألف فأخذت ثمانين ألف درهم بحرف استفيد مني ، هذا وقد نظم بعضهم هذا الفرق بين الفتح والكسر مع ذكر الضم بقوله :

والاستقامة هي السّد وبلغة من عيش السّداد
وجمع سُدّة أتى سُداد وهي زكام مانع للنشر

وقال في القاموس : السُّداد : داء في الأنف يمنع تنشم الريح •

(أشفقن) : خفن •

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى) لا ناهية وتكونوا فعل مضارع ناقص مجزوم بلا والواو اسمها وكالذين خبرها على أن الكاف اسم بمعنى مثل والذين مضاف إليه ويجوز أن تكون جارة والجار والمجرور خبر تكونوا وجملة آذوا موسى صلة قيل انهم قرفوه بعيب في جسده من برص أو أدرة وسيأتي حديث مسلم بهذا الصدد في باب الفوائد • (فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً) الفاء عاطفة وبرأه الله فعل ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر ومما : يجوز أن تكون ما موصولة أو مصدرية أي من الذي قالوه أو من قولهم وعلى كل هو متعلق ببرأة والواو عاطفة وكان فعل ماض ناقص واسمها مستتر تقديره هو يعود على موسى وعند الله متعلق بوجيهاً ووجيهاً خبر كان • (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً) جملة مستأنفة مسوقة لتقرير ما تقدم واتقوا الله فعل أمر وفاعل ومفعوله وقولوا فعل أمر وفاعل وقولاً مفعول مطلق وسديداً نعت •

(يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم) جزم يصلح جواباً للطلب ولكم متعلقان بيصلح وأعمالكم مفعول به وجملة ويغفر لكم ذنوبكم عطف على الجملة السابقة • (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً) الواو استئنافية ومن اسم شرط جازم مبتدأ ويطع الله فعل الشرط ، فقد الفاء رابطة للجواب لاقترانه بقد وفاز فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو يعود على من وفوزاً مفعول مطلق وعظيماً نعت والجملة في محل جزم جواب الشرط • (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال) كلام مستأنف مسوق للتنويه بشأن

الأمانة وتفخيم أمرها وسيأتي مزيد بسط فيها في باب البلاغة ، وان واسمها وجملة عرضنا خبرها والأمانة مفعول عرضنا وعلى السموات متعلقان بعرضنا وما بعده عطف على السموات • (فأبين أن يحملنها وأشفقن منها) الفاء عاطفة وأبين فعل ماض وفاعل وأن وما في حيزها مفعول أبين وأشفقن عطف على أبين ومنها متعلقان بأشفقن • (وحملها الانسان إنه كان ظلوماً جهولا) الواو عاطفة وحملها فعل ماض ومفعول به مقدم والانسان فاعل مؤخر وإن واسمها وجملة كان خبرها وظلوماً خبرها الأول وجهولاً خبرها الثاني •

(ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) اللام متعلقة بحملها وقيل بعرضنا فاللام للتعليل على طريق المجاز لأن التعذيب نتيجة حمل الأمانة ويعذب فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام والله فاعل والمنافقين مفعول به وما بعده عطف عليه • (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيماً) ويتوب الله عطف على يعذب الله وعلى المؤمنين متعلقان بيتوب والمؤمنات عطف على المؤمنين وكان واسمها وخبراها •

البلاغة :

التمثيل :

في قوله « إنا عرضنا الأمانة على السموات الخ » فن التمثيل والمراد بالأمانة الطاعة عامة ولا مجال لتخصيصها ، وعرضها على السموات والأرض والجبال تمثيل فهي استعارة تمثيلية وقد سبق القول فيها ، ولكن عبد القاهر جعل فرقاً بين الاستعارة والتمثيل فهو يفرق

أول ما يفرق بينهما بأن الاستعارة تكون في لفظ ينقل عن أصله اللغوي ويجري على ما لم يوضع له من أجل شبه ما نقل اليه وما نقل عنه فإذا قلت رأيت أسداً تريد به الرجل الشجاع كانت الاستعارة في كلمة الأسد ، أما التمثيل فهو التشبيه المنتزع من مجموع أمور لا تحصل إلا بجملة من الكلام أو أكثر وقد تجد الألفاظ في الجمل التي يعقد منها جارية على أصولها وحقائقها في اللغة ، هذا ويقوم التمثيل هنا على ما هو متخيل في الذهن فإن عرض الأمانة على الجماد وإباءه وإشفاقه محال في نفسه غير مستقيم فالمشبه به إذن غير معقول ولكنك تتخيل حال التكليف في صعوبته وثقل محمله بحاله المفروضة لو عرضت على السموات والأرض والجبال لأبين أن يحملنها وأشفقن منها ، والأمانة التي هي الطاعات كأنها راكبة للمؤمن وهو حاملها ألا تراهم يقولون : ركبته الديون ولي عليه حق فإذا أداها لم تبق راكبة له ولا هو حاملاً لها ، ونحوه قولهم لا يملك مولى لمولى نصراً يريدون أنه يبذل النصرة له ويسامحه بها ولا يمسكها كما يمسكها الخاذل على حد قول القطامي وقيل ذي الرمة .

أخوك الذي لا تملك الحس نفسه
وترفض عند المحفظات الكتائف

أي لايمسك الرقة والعطف إمساك المالك الضنين ما في يده بل يبذل ذلك ويسمح به ، وحس له حساً رق وعطف والحس أيضاً العقل والتدبير والنظر في العواقب والارفضاض من الترشرش والتناثر واحفظه إحفاظاً فالمحفظات المغضبات والكتائف جمع كتيفة وهي الضغينة والسخيمة والحقد . يقول : هو أخوك الذي لا تملك نفسه

الرحمة بل يبذلها لك أو لا تقدر نفسه عـلى التدبر بالتأني كي يسرع إليك بغتة وترتعـد وتذهب ضغائنه من جهتك عنـد الأمور المغضبة لك لأنها تغضبه أيضاً •

الفوائـد :

هذه الآيات نزلت في شأن زيـد وزينب وما راج فيه من قالة الناس وما أرجف به بعض المرجفين ، وقيل في أذى موسى أقوال شتى ، روى مسلم عن أبي هريرة قال : قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سوءة بعض وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده فقالوا : والله ما منع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر ، قال : فذهب يوماً يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه قال فجعل موسى عليه السلام يعدو أثره يقول ثوبي حجر، ثوبي حجر حتى نظرت بنو إسرائيل الى سوءة موسى فقـالوا : والله ما بموسى من بأس فقـام الحجر حتى نظروا إليه قال : فأخـذ ثوبه فاستتر به وطفق بالحجر ضرباً • قال أبو هريرة : والله إن به ندباً ستة أو سبعة من ضرب موسى ، وفي القاموس : « الندبة أثر الجرح الباقي على الجلد والجمع ندب مثل شجرة وشجر وأنداب وندوب » والأدرة بضم الهمـزة وسكون الدال المهملة وراء مفتوحـة مرض تنتفخ منه الخصيتان وتكبران جداً لانصباب مادة أوريح غليظ فيهما ورجل آدر بالمد كآدم به أدره •